كيف تعالج مجتمعا مزمنا

www.ebibliomania.com

+201065534541
+201208868826
fb.com/Books.Bibliomania/
fb.com/bibliomania.eg/
Insta:books.bibliomania/
fb.com/groups/Bibliomania.Books/
@BibliomaniaEg

كيف تعالج مجتمعا مزمنا

روايةٌ في كتاب

محمود عبد الستار

ببلومانيا
للنشر والتوزيع

ببلومانيا للنشر والتوزيع

نوع العمل: رواية

اسم العمل: كيف تعالج مجتمعا مزمنا

اسم المؤلف: محمود عبد الستار

رقم الإيداع: 21684 /2017

الترقيم الدولي (ISBN): 978 - 977 – 6607 -07 - 1

الناشر / دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

المدير العام / جمال سليمان

تليفون / 00201065534541 - 00201208868826

صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/

الموقع الإلكتروني: www.ebibliomania.com

الطبعة الأولى 1438 هـ - 2017 م

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني والمرئي والمسموع

محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ

أو التعديل إلا بإذن من الناشر.

إهداء مميز لشخص مميز:

أختَي

ميناس عبد الستار

(ينسي الأحلى الحلو هكذا ستنسى أسماء الكتب)

مقدمة هامة

عزيزي القارئ إليك كتابي هذا.

ها أنت الآن ممسك بكتابي، وأنا اعلم أنك قد تكون ممن يميلون إلى قراءة كتب المشاهير من المؤلفين، قد تكون ممن يبحثون عن الأسماء دون المحتوى.. وأنا لا أضمن لك شهرة اسمي فهذا أول كتاب لى، ولكن أضمن لك محتوى الكتاب، فلو كنت تبحث عن محتوى جيد فقد حصلت عليه... فهذا الكتاب يدعوا إلى تحرير إطار الفكر في وقت ساد فيه الجمود الفكري، والانغلاق العقلي

إن الجمود الفكري هو أكبر جريمة ترتكبها في حق عقلك دون شعور منك.

متى لا تكون متجمد فكريا؟

عندما يتحرر عقلك وتزن الأمور بنفسك عندما تتخذ أنت القرارات وتصنعها، عندما تكون غير تابع لما أملوك إياه-

متى يتحرر عقلك؟

عندما تعرف كيف سُجِن وحينها تستطيع بكل سعة صدر أن تحرره،

فإذا كنت ترغب في تطوير ذاتك وتوسيع نطاقك الفكري

فمرحبا بك فقد أحسنت الاختيار، فهذا الكتاب أُلِّف خصيصا ليساعدك على التعرف على ذاتك ومن ثم تنطلق....

***

أهداف الكتاب

****

ألفت هذا الكتاب لتوسيع مدارك عقلك وتوسيع نطاقك الفكرى

لتوسيع آفاقك ولأريك الدرب الصحيح.. بعيدًا عن السطحية

لكي أزيل من أمامك ستار الوهم،وقيود عقيمة ورثناها جميعا

سأريك معى الحقيقة، أو لنقل جزء منها، وهذا لأنني أتمنى السعادة للبشر عامة مهما أختلفت تواجهتنا وأعراقنا... فإننا في النهاية آدميين وأنا أريد الخير للجميع/ ولكى نترابط أكثر ويشعر كل منا بالآخر.

***

(البدنية والفكرية)

لطالما حلمت بعالم سلاحه الحقيقي العلم، وليس القتل والفتك، لطالما حلمت بإزالة الحدود ونسيان أي خلاف وجد بينا.

ألّفتُ هذا الكتاب من أجلك أنت

أنت لا غيرك...

قد تكون الجملة غريبة بالنسبة لك، ولكنك حتما ستفهمها بعد اطّلاعك على ما يحتويه الكتاب.

عزيزي القارئ..

أتمني لك حقا قرأة ممتعة و أتمني أن تستفيد بكل كلمة ستقرأها في كتابي هذا في حياتك الشخصية، وألا يكون كتابي هذا كتاب عابر يمر عليك مرور الكرام.. بل أرجو منك أن تطبق كل ما تقرأه في حياتك الشخصية، وألا تمر على ما تقرأ دون الإمعان في كل كلمة.

***

تمهيد يجب الاطلاع عليه

****

هناك سؤال كثيرا ما حيرني!! وهو..

هل الفرد هو من يؤثر على المجتمع أم المجتمع هو الذي يؤثر على الفرد؟

لقد توصلت للإجابة بعد الكثير والكثير من البحث لأجد أن المجتمع هو من يؤثر فى الفرد، فالمجتمع المتحضر هو من ينشر الوعي ويرتقي بأفراده

والمجتمع المتخلف هو من يزيِّف الحقائق وينشر الجهل والتضليل بين أفراده. حيث يسهل على حكام تلك الشعوب نهب الخيرات والسرقة والتفريط فى كل ماهو غالٍ ونفيس.

ونجد في التاريخ أمثلة كثيرة، ففي العهد الذي سبق النبي (محمد) صلى الله علية وسلم.. حيث كان المجتمع يجمع بين نقيضين فهناك من يعيش في الرذيلة ومابين سكر وعربدة وفسق وفجور... وهناك من كان يحيا ليحقق نجاحًا تجاريًا وسياسيًا.

فنجد هنا مزيج متناقض بين الأفراد وكل على شاكلته، ولكن الفرد هو من يختار أيَّ اتجاهٍ سيسلك كما فعل نبينا الكريم.

فمنذ نعومة أظفاره كان يعرف بالأمين والصادق وغيرها من الصفات الحميدة... كما يوجد مثال آخر يدل على أن الفرد بيده كل شيء، فهنا سأحدثكم عن الفاروق (عمربن الخطاب) قبل وبعد إسلامه، كان قبل الإسلام يدين بدين الوثنية ويئِد البنات. حاله حال معظم أفراد قبيلته، وقد عانى أيضًا الفقر والعوز والحاجة، مما أكسبه المزيدمن الصلابة والقوة وجعله أكثر تحملا للمسئولية، ثم عمل بالرعي والتجارة فزادت ثروته، حيث أنه حين آمن كان يعد من أثرياء قريش.

وبعد أن دخل الإسلام تغير كليًّا فأصبح قلبه لين وكان حكيما عادلا وبعدما كان من أكثر الناس تعذيبًا ووحشية لمن يدخلون في الاسلام. أصبح يعتقهم ويحنو عليهم.

وبناء على هذه الأمثلة والتى أردت أن أوضح من خلالها أن الفرد يستطيع أن يغير نفسه ومن ثم يصبح قادرا على تغير مجتمعه

وقد صدق الله العظيم حينما قال:

(إن الله لايغير مابقوم حتى يغيرو ما بأنفسهم)

صدق الله العظيم

-فكل من يهدف إلى التطور يجب عليه أولا أن يحرر نفسه من القيود المفروضة عليه، ويعيد التفكير في كل صغيرة وكبيرة.. فعقلك ما هو إلا وعاء قد ملأوه بأفكارهم. وسيظل عقلك هكذا طالما أنك تسمح للآخرين أن يفكروا نيابة عنك، ويمكننا أن نقول بمعنى أدق أن الفرد يؤثر ويتأثر بالمجتمع.

-إن العقل البشري يعمل وفق البرمجة التي بُرمج عليها سواء بالسلب أو الإيجاب... لذلك قد تري القبيح في عينك جميل في عين غيرك، وسنتطرق إلى تلك النقطة الهامة في عنوان (المخطئ لا يدرك أنه مخطئ)

فأنت تفكر بعقلية غيرك لا بعقليتك المبرمجة التي قد برمجوك عليها، قد تجعل منك شخص سلبي أو إيجابي، كما أنها قد تجعل منك مجرم أو مدافع عن الحق والفضيلة.. فمن يتربي في دار الصالحين غالبا ما يكون صالح، ومن يتربي في دار المجرمين يكون أكثر عرضة للإجرام.

وقصة الرجل الذي قتل 99 نفسا تؤيد ما أقول. فعندما ذهب إلى عابد عقله مغلق أغلق في وجهه طريق التغير نحو الأفضل.

فماذا كانت ردة فعل الرجل؟!!

أنه أكمل به المائة، وهذا يعني أن العقول المغلقة تأثر سلبا على من يتلقى منها الأفكار، ولكن الرجل لم ييأس.. وكانت عنده إرادة ورغبة في التغير، فذهب إلى عالِم آخر...ولكنه كان يختلف عن العابد تمامًا فكان هذا العالِم متحررَ العقلِ، فقال له لك توبةً ونصحه بأن يذهب إلى مجتمع غير مجتمعه، معللا قوله بأن أرضه أرض سوء، وأن المجتمع الذي سيذهب إليه أهله صالحين.

نستنتج مما سبق أن المجتمع هو من يحدد سلوك الفرد، كما نستنتج أن الفرد يستطيع تغيير نفسه وتغيير برمجته السيئة إلى برمجة حسنة.

-فالمجتمع يحدد شخصية الفرد، والإنسان يستطيع التغيير.

كما نستنتج من ذلك أن اختلاف شخص عن آخر يرجع إلى سببين رئيسيين:

1- نشأته في ظروف غير ظروفه.

2-أنه عاش نفس الظروف، ولكنه قرر التغيير.. قرر أن يرتقي بنفسه وهذا ما يفعله جميع الأشخاص المبدعين الذين نشئوا في مجتمعات متخلفة، فهم يعيدون فلترة الأفكار بطريقتهم، وقد يفاجأ من يعيد التفكير في كل ماحوله بأختلاف نظرته للأشياء، فقد تتبدل الأمور بالنسبة له فيرى ما كان يعتبره صواب خطأ..وما كان يعتبره خطأ صواب، وقد تتغير أرائه تغيرا يقترب من الكلية، وقد يهاجمه الكثيرين في البداية، فالنضج في مجتمع مضطرب يسبب

الأمراض.. فالإمراض النفسية غالبا ما يكون سببها المجتمع كالفصام، كما قد تسبب له الكثير من العقد النفسية وهذا يرجع إلى أن التفكير قبل التطور، ليس تفكيره وإنما هو تفكير قد استمده من ستة أشياء فعقلك، وطريقه تفكيرك نابعة منهم وعقلك بمثابة قالب لتلك الأشياء.

***

وجودك هو عبارة عن تخصيب البويضة بحيوان منوي وسلوكك هو عبارة عن نتاج الأفكار التي زرعوها فيك منذ الصغر.

محمود عبد الستار

أولا: الأسرة

****

-لقد تعمدت أن أبدأ بعنصر الأسرة، لأن لها الأثر الأكبر على حياتنا، ولا شك أننا جميعا كنا صغار ومررنا بهذه المرحلة.. وهي الطفولة التي كانت بداية وضع الأسس والمعتقدات التي يسير عليها الفرد طوال عمره والتي فيها تغرز الأفكار الإيجابية والسلبية في صميم العقل مباشرة، فحينها يكون العقل بلا مناعة تقف ضد الأفكار السلبية.

-إن أهمية وخطورة الأسرة تكمن في أثرها البالغ في سلوك الفرد، فهي تؤثر عليه قبل ولادته من الناحية الجينية الوراثية سواء في الصفات الجسمانية، أو السلوكية، وتؤثر عليه بعد ولاته تأثيرا بالغا، ومن أبرز هذه التأثيرات اللغة، فالطفل يتحدث باللغة التي تتحدث بها أسرته بل بلهجة أسرته وما إن يستطيع الطفل فهم الكلمات التي تلقى عليه حتى يقوم أبويه بغرز الأفكار الإيجابية والسلبية في عقله.. فكما ذكرنا سالفًا أن عقل الإنسان كالوعاء يستقبل جميع الأفكار وخاصة الأفكار التي تسكبها الأسرة في عقله، والمبدأ البيولوجي يقول كلما كان الكائن صغيرا كلما زادت قابليته للتشكيل، فسلوكيات الطفل ما هي إلا ردة فعل لما يمر به، فعندما تبتسم أمام الطفل

يقوم بتقليد ذلك، ولقد صدق أرسطو عندما قال: (أعطني طفلا رضيعا أعطيك جندي بعد عشرة أيام.)

-فالأسرة يمكن بكل سهولة أن تبث في الطفل أفكار إيجابية كأن تبث فيه الثقة بالنفس، والعزيمة والإرادة والتثقف.. والرؤية الثابتة، وقوة الشخصية فترسخ من وجوده وتجعله يقف على أرض صلبة وتكون بذلك قد مهدت له الطريق نحو مستقبل مشرق وأفق جديد. وفي نفس الوقت يمكن أن تبث فيه التردد وضعف الشخصية والإرادة الهشة، فتجعله ريشة في مهب الريح.. فما يقوله الأبوان لأبنائهم يعد من أشد أنواع الإيحاء قوة وأبلغها اثر، فالمنزل هو المزرعة التي تتشبث فيها بذور الشخصية، وهي التي باستطاعتها أن تضيء له معالم الطريق أو تتركه يتخبط وتحركه ألأمواج حسبما شاءت.

- والطفل يولد صفحة بيضاء فتلونه الأسرة وتضع الأفكار في عقله الباطن وتظل الأفكار تنمو وتكبر داخل عقله .

فتأثير الأسرة لا يتوقف عند مرحلة الطفولة بل يدوم ويستمر طوال الحياة.

-إن المشكلة التي يعاني منها الطفل سببها عقل والديه، فالمشكلة تكون في عقلهم قبل أن توضع داخل عقله، فهم يتلقون المرض ثم ينقلوه لأبنائهم،

وأخطر ما تقوله الأم وينعكس سلبا على الطفل.. هو نعته بصفات العجز كأن تقول يا فاشل، أو يا غبي فيستقبل عقل الطفل الاتهام ويعمل على أساسه.. فالأتهام ينطبع في صميم الشخصية باعتباره جزء من الذاكرة، كما يعد تشبيه الطفل بغيره بمثابة فقد ثقته في نفسه، ولا أنكر أن الأم تقول ذلك بقصد تحفيزه وتشجيعه على العمل والمثابرة، إلا أن هذه الكلمات وما شبهها ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب. فهذه الكلمات تزرع في عقله بذرة الفشل التي تنمو بمرور الأيام والسنين، والتي يزداد أثرها بتكرارها.
ومن الأخطاء التي قد ترتكبها الأسرة.. ضرب الإبن عندما يقوم بفعل أمر لا ينبغي عليه القيام به، بعد تراجع الطفل عن الخطأ باعترافه أنه كان ألا لآ يعترف بخطئه مره أخرى، والصحيح أن تكافئه على اعترافه بخطئه.

والحقيقة أن الأبوين لا يقصدان بذلك تحطيم سلوك الابن أبدا، وإنما المشكلة ترجع إلى أن الأبوان جاؤوا بالطفل ليكون مشروعهم وليحقق أحلامهم التي عجزوا هم عن تحقيقها.. لا أن يختار مشروعه ويحقق ما يريدة هو.

-كما أن الأسرة هي ركيزة المجتمع وهي تعتبر منبع أفكار أفرادها، فهي تعد أهم وأخطر العوامل المؤثرة عليه وذلك لأنها تدرج العناصر الأخرى المؤثرة عليه تحتها، فهي الأصل الذي يخرج منه عدة فروع، وباجتماع الأصل مع الفرع يتكون تفكير الإنسان.

وقد تكون سألت نفسك لماذا يختلف الإخوة في سلوكهم ما دامت الأسرة هي من تؤثر على سلوك افرادها؟

وهذا السؤال في حقيقة الأمر بديهي للغاية، ولذلك ذكرته -

فلا شك في أن الأخوة يشتركون في صفات عديدة، أما عن باقي الصفات التي قد يختلفوا فيها فقد سبقت سؤالك بجوابي، وهو أن بعض الفروع تختلف بين الأخوة، فالأخوة يختلفون مثلا في الظروف والتجارب التي مر كل واحد منهم بها، وهذا كفيل باختلاف السلوك والآراء.

فالأسرة هي بمثابة الهيكل العظمي الذي يمثل جوهر السلوك والتي تكسوه المؤثرات الأخرى، يقول المثل الدارج (من شب على شيء شاب عليه) وقد فطِن العرب منذ القدم إلى أن الطفل يتشكل بإيحاء وكلام من حوله، وأنه يستمر أثر ذلك طوال العمر فقالوا: (التعليم في الصغر كالنقش على الحجر)، والطفل ما إن يولد حتى تضع له الأسرة القوانين وتغرز فيه الأشياء التي يعتبرها المجتمع مرغوبة وتبعده عن الأشياء التي يرفضها المجتمع. فالأسرة هي التي تحدد للطفل الممنوع والمسموح، وتفرض عليه العادات والتقاليد التي يجب أن يعمل بها، رغم أنفه سواء أكانت صحيح أم غير صحيحة.. وأنا لا أقصد بكلامي أنه

يجب على الأسرة عدم تربية الطفل على ما يناسب المجتمع ولكن.. ماذا لو كان المجتمع فاسد وتأثر به الوالدان أولا؟!! وهذا لأنهم ضمن أفراد المجتمع. ماذا لو ربوه على عادات دميمة؟!!

-لذلك أقول أنه يجب على الفرد إعادة التفكير في كل ما حوله، فقد يكون الحسن سيء، ويكون السيء حسن، وهذا لا يعني أنه يجب على الفرد الاقتصار على وجهة نظره، فلو اقتصر على وجهة نظره فقط فبذلك يكون انتقل من جمود إلى جمود آخر.. وإنما الواجب عليه سماع كل الآراء

والتفكير فيها وأن يكون له رأي أيضا.

-إن الأسرة تورث للفرد طباعها ومعتقداتها يقول النبي محمد صل الله عليه وسلم في ذلك (كل مولد يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه).

-إن شخصية الأب والأم تنطبع داخل عقل الطفل، ويأخذ العقل صورتها كما خلفية الشاشة كأنها تأخذ سكرين شوت **(screen shot)**

-فالأسرة تعد خلفية الطفل التي يستمد منها المعلومات، والتي تعتبر بمثابة مرجع يرجع إليه في تقيم الأمور وآرائه مستمدة منها من حيث يشعر أو لا يشعر، ليس هذا فحسب فكل واحد منا يحمل بداخله شخصية أبيه وصورة

الشخصية الأبوية التي تنطبع في العقل وتظهر عندما يفعل أحدنا أمرا لا يجب عليه فعله فيجد صوت بداخله يقول له لا تفعل.

كما تظهر في بعض الكلمات التي يقولها الفرد، كأن يقول من أنت حتى تتحدث إلى هكذا؟

أنت شخص غير مسئول..

فتلك التصرفات والكلمات نابعة من صميم الشخصية الأبوية الموجودة داخل كل واحد منا.

وهذا يرجع إلى أن الإنسان بطبعه يميل إلى التقليد والتقليد نوعان: -

1-تقليد إرادي، وهو الذي يكون على سبيل السخرية أو المزحة والمعروف عندنا باسم (التريقة)

2-تقليد غير إرادي، وهذا النوع من التقليد تحتاجه شخصية الإنسان لكي تنمو، حيث تنخرط الصفة المقلدة في تركيب الشخصية وتتلون بلونها، وهذا التقليد لا يسمي تقليد؛ بل برمجة عقلية حيث أنها تنخرط في طريقة التفكير كما ينخرط الطعام في جسد من يتناوله والتقليد اللاإرادي يصبح إراديًا عند زيادة الوعي، فما أن تتعرف على ذاتك الحقيقية حتى يمكنك فصل كل ما لا

يتناسب مع شخصيتك والأمر ليس بالهين فهو يحتاج إلى إمعان وتدقيق في كل صفة ومعرفة كيف تم اكتسابها.

يقول: يوهان فولفغانغ (لا توجد عبودية أسوأ من أن تعتقد أنك حر، وأنت في الحقيقة لا تملك قرار أي شيء في حياتك)

***

التقاليد

****

- إن العادات والتقاليد التي يتربي عليها الفرد ويعتبرها دستور حياته الذي إن خالفه يخضع لمحاكمة العرف، والناس تتغلغل في اللاشعور فهو يتخذ قراراته بناءً عليها بدون شعور منهجي فتصبح جزءًا لا يتجزأ من منطقه وأسلوبه. وعدم التفكير في التقاليد التي يتحدث على أسسها الفرد تتناسب عكسيا مع الإبداع.

يقول: أفلاطون (نحن مجانين إن لم نستطع أن نفكر، ومتعصبون إذا لم نرد أن نفكر، وعبيد إذ لم نجرؤ أن نفكر).. وقد صدق، فالمجانين وحدهم من لا يستطيعون أن يفكروا، والمتعصبون وحدهم من يرفضون التفكير لكي لا يكتشفوا زيف آرائهم.. والعبيد والأطفال والمغيبين هم فقط من يفكر غيرهم نيابة عنهم بما أنهم لا يملكون زمام أمورهم.

ويجب علينا الاعتراف بأنه من الصعب التخلص من.. التقاليد تخلصًا تامًا وأنا لا أطلب من القارئ أن يتخلص منها تخلصًا تامًا، بل أطلب منه أن يعيد التفكير فيها وينتقي الصالح منها ويترك الطالح.

يقول علي الوردي: (أنه قد يدعي شخص أنه يفكر تفكيرا حياديا لا تحيز فيه من تلقاء نفسه، لأنه لا يعلم ماذا كَمُن في عقله الباطن من المراجع التي يتصرف بناءً عليها)، فالتقاليد تطبخ الفرد علي نارها البطيئة.. فإذا لم تتحكم في تفكيرك فإن كل المؤثرات الخارجية ستشكلك كما تريد.

وحتى نكون عادلين فالتقاليد ليست سلبية فقط ولا إيجابية فقط..

ويجب عليك أنت أن تميز بين الجيدمنها والعكس وتقرر أنت وتكون صاحب الاختيارفيما ستنتقيه من تلك العادات والتقاليد وسواء كان اختيارك جيد أو لا فأنت وحدك ولاغيرك من سيتحمل نتيجة هذا الاختيار.

-والتقاليد تختلف من بلد إلى بلد.. ومن حضارة إلى حضارة.. وقد تجمع كل هذه الأختلافات داخل دولة واحدة، ويمكننا أن نطبق ذلك على مصر.

فالعادات والتقاليد المصرية تختلف اختلافا كليًا عن العادات والتقاليد في

الولايات المتحدة الأمريكية، وتعد الولايات المتحدة أكثر دولة فيها اختلاف بين الأقاليم.. حيث تعتبر كل ولاية بمثابة دولة لها عاداتها وتقاليدها المختلفة عن الأخرى.

في بلادنا ليست القرية هي من تحتاج إلى تتطور وإنما عقولنا هي التي في أمس الحاجة إلى التطور.

محمود عبد الستار

-وعادات وتقاليد سكان الصحراء (سيناء) تختلف عن عادات وتقاليد الحضر(القاهرة) إذا ضربنا المثل بمصر.

-كما أنه قد تختلف العادات والتقاليد بين الأقاليم، فعادات، وتقاليد سكان الصعيد تختلف عن عادات وتقاليد المدن الاخرى..

كما أنها تختلف بين المدن والقرى، فعلي سبيل المثال لو غاب الابن عن البيت لمنتصف الليل سيختلف ردة فعل الوالد على حسب المكان، فإن كان يقيم في قرية فسيعد ذلك مخالفًا للعرف ويعتبره غير محترم ومنحرف، أما لو كان ذلك في مدينة فالأمر طبيعي للغاية، ولا مشكلة في ذلك. وقد يحدث العكس فالعادات أيضا تختلف من شخص لآخر ومن عائلة لأخرى.

والخلاصة: أن العادات والتقاليد توضع للفرد على حسب ما أُنشأ عليه، والتي تحرص على أن تُخضع الفرد ضن تعاليم مجتمعه وبيئته الخاصة سواء أكانت التعاليم التي توضع له صحيحة أو غير صحيحة.

والإنسان العاقل هو الذي يبتعد عن التقاليد التي انتهت صلاحيتها، وأصبحت مضرة لمن يتناولها.. ويعيد التفكير في كل العادات التي أملاها غيره عليه ويحدد عاداته هو وتقاليده هو دون الانغلاق على رأيه في ذات الوقت وعن طريق اتخاذ العقل قائدًا.

- يقول: كانط (المجتمع يحرض علي الجمود، فالضابط يقول افعل دون تفكير، ورجل الدين يقول آمِن دون تفكير..و أنا أقول.. وأيضا العادات تقول.. كرر دون تفكير، فلا يخرج المستجيب لتلك الأوامر من ظلمات الجمود إلى نور التحرر منه)

- يقول فرانك كلارك (العادات شئ يمكنك فعله دون تفكير، وهذا هو سبب في أن معظمنا عنده الكثير من العادات)

- يقول بيرتراند راسل: (في يوم من الأيام شاهدت ولد يضرب أخر أصغر منه فجادلته فقال: الأولاد الكبار يضربونني لذلك أضرب من هم أصغر مني وهذا

عادل). ويعلق/ بيرترا ندراسل فيقول:((بهذه الكلمات لخص الطفل كل تاريخ البشر).

فتحت عيني فوجدت نفسي أسير لأفكار
ليست أفكاري فأصبحت أنا هو وليس أنا

محمود عبد الستار

وللأسف معظمنا مثل هذا الطفل، ونتبع نفس الفلسفة الوضيعة التي وضعها من قبلنا.. وعندما نكبر نمليها على أولادنا ومن هم أصغر منا سنا.. وتدور الدائرة فيخرج الطفل ليقلد من هم أكبر منه دون معرفة معاني ما يفعله، فيفعل الشيء وكأنه لم يفعله.. ولا يستفيد بما يفعل ويكون عمله متبخرا، فيدخل المدرسة مثل الناس دون معرفة أهمية المدرسة، ولعل ذلك هو سبب فشل نظام التعليم عندنا، وعندما يكبر يعمل مثل الناس دون أن يعلم أن العمل متعة وخير من الكسل والبطالة والخنوع.. ويتزوج مثل الناس دون أن يعلم مسئولية الزواج والأولاد الذين لا يتحملهم إلا القليل، ولعل ذلك سبب خروج جيل مشوه نفسيا ومعنويا.

وهناك من الأمثلة ما تشجع على ذلك.

يقول المثل الشائع (عيش عيشة أهلك)، وهذا المثل كارثة بكل المقاييس فهو يطلب من الفرد تقليد غيره والحزو على فعله وإن يتبعه شبرا بشبرٍ وذلك يسلب منه خصال الإنسان الذي ميزه الله بالعقل) والعادات والتقاليد تجعل الفرد بنفس عقلية أسلافه ومن حيث لا يشعر.

يقول (ابن خلدون) في وصف العقول المتحجرة (إتباع التقاليد لا يعني أن الأموات أحياء، بل يعني أن الأحياء أموات)، إن من يتبعون التقاليد يعتقدون أن ما تربوا عليه وما عرفوه أمر لا يقبل الجدل، فهو خالد ثابت في نظرهم.. وهو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وذلك لأنه قد آمن بذلك من سبقوه فلا مجال لانتقاد ذلك بالنسبة لهم. وهم يعتقدون أن من ينتقد هذا شخص لا يعرف الأصول وغير محترم.. وقد يعتقد البعض أنه قد أصابه الجنون وقد صدقوا، فالعاقل عندما يكون بين المجانين يعتبره المجانين مجنون.

- يحكي أن ملك أصابه مرض تسبب في بتر أذنه، ولما ذهب إليه رئيس الوزراء ورآه بدون أذن ضحك.. فأمر الملك الطبيب ببتر أذن رئيس الوزراء، ولما اجتمع رئيس الوزراء مع الوزراء ضحكوا عليه.. فأمر بقطع أذانهم، ولما رآهم أفراد المملكة ضحكوا فأمر الوزراء بقطع أذان جميع المواطنين. وبعد مرور

عدة سنوات أتى رجل غريب إلى البلدة فأخذ أفراد المملكة يضحكون عليه ويقولون رجل بأذن.

-إن التقاليد تسبب الجمود ويظهر الجمود في تشابه طريقة تفكير الأجيال. وقد قال الأمام (علي) رضى الله عنه قولا جميلا لمعالجة ذلك فقال: (أولادكم خلقوا لزمان غير زمانكم، فلا تقصروهم على عاداتكم)

- إن الأفعال السيئة التي تقوم بها تحت مسمي العادات والتقاليد، والتي تجعلنا كالتماثيل الجامدة يجب أن نسقطها، وننسى تلك التعاليم السيئة ونزيلها من ذاكرتنا لأننا بتكرارها تترسخ داخل عقولنا.

تحرر من الجمود عن طريق إعادة التفكير في كل شيء ولا تتعصب لفكرتك فالتعصب هو الجمود بعينه

محمود عبد الستار

وأنا أثق أنه فى يوم من الأيام سيأتى جيل معافى من الجمود الفكرى.

ولكن.. لمَ نترك الحمل على الأجيال القادمة؟!

لنكن نحن الجيل المتحرر من الجمود. إنهم يسخرون منا وكأنه لم يحقق المجد أحدا سواهم، فليحملقوا أعينهم علينا فسنريهم عظمتنا.

هيا بنا يا رفاقي لنبدأ مسيرتنا ولتكن بداية العظماء هي بدايتنا، هيا بنا نجابه الجمود الفكري بالنقد، والتفكير الحيادي

فالنقد والتفكير الحيادي بمثابة سلاح في مواجهة البرمجة الخطّاءة

يقول غاندي (كن أنت التغير الذي تريد أن تراه للعالم)

****

أولًا (التعليم)

* المدرسة

****

- بعد أن يتلقي الطفل من الأسرة الأسس والقواعد التي يسير عليها، يأتي دور المدرسة لتضيف أفكار.. وتعاليم جديدة إلى محصلته فالمدرسة هي المعلم الثاني بعد الأسرة، وهي المجتمع الأول حيث أنها تجعل الفرد اجتماعيًا من خلال التعرف على زملائه والتعامل معهم.

وتؤثر المدرسة على سلوك ومشاعر الفرد من خلال:

1-المدرسين:

للمعلم أثر بالغ على التلاميذ، حيث أن التلاميذ ما أن تلفت نظرهم شخصية مدرس سواء كانت الشخصية ايجابية أو سلبية حتى يأخذون بتقليدها.. ويبدأ التلميذ بتقمص دور الشخصية في حركاتها.. وسكونها وهذا تأثير في السلوك ملاحظ بشكل كبير.

ومن المؤسف أن بلادنا تدرس حياة الطغاة بدلا من تدرس حياة الذين ضحوا من أجل أن تسود الحرية أمثال (جيفارا) على سبيل المثال.

2- كما تؤثر الأفكار الموجودة داخل الكتب على آراء الطالب فقد تجعله يكره أحد الظالمين، وفي نفس الوقت قد تجعله يحبه وهذا أخطر أنواع الإعلان حيث أنه يمكن التسويق لشخصية تاريخية من خلال الكتب الدراسية. والخطر يكمن في أن الأفكار الموجودة داخل الكتب غالبا لا تخضع لنقد الطلاب.. ولا الأساتذة

وللمدرسة إيجابيات سأذكرها بإيجاز لأن الكتاب يهدف إلى تحويل المساوئ إلى محاسن وليس التغني بالمحاسن، وإيجابيات المدرسة تتلخص فى أنها تبث في الفرد الثقة بالنفس وتجعله يعتمد على نفسه من خلال حل الواجبات التي تعطي الثقة بالنفس.. كما أنها تجعل منه مستمع جيد حيث أن الطالب يجلس مدة طويلة يستمع فيها لشرح المدرس.

****

مشكلة التعليم

-مشكلة المدرسة ترجع إلى ما قبل المدرسة، إلى الأسرة فالأب يدخل أبناءه المدرسة من أجل الحصول على الشهادة، والمدرسة بذلك تكون قد فقدت قيمتها تحت زيي التقاليد.. وإنه لأمر محزن يقول لي رودف: (لا أحد يسعي لتعليم جيد الكل يسعي لدرجات جيدة).

وبؤرة المشكلة تبرز في أن الطالب أصبح يذهب إلى المدرسة ليلهو ويمزح مع أقرانه، ومن المؤسف أن بعض المدرسين يشجعون ذلك لحبهم للراحة. ولا مانع أن يلوموا الطلاب بكلمة حتى لا يشعر أحدهم بتأنيب الضمير وهذا يرجع في الأساس إلى أن المدرسين يتقاضون رواتبهم بالشهر لا بالجهد، فالمدرس سيحصل على راتبه سواء قام بعمله أم لا.

وأذكر أن أحد المدرسين قال لنا في الفصل حين كنتُ صغيرًا: إن شرحت لكم فلن يزيد ذلك على راتبي شئ، وأن لم أشرح فلن ينقص من راتبي شيء.

ومشكلة المدرسة في وطننا العربي أنها أصبحت تعتبر عقل طلابها رغيف خبز يجب حشوه. وكلما زاد الحشو زادت قيمة الرغيف بينما التعليم الصحيح يكون بالكيف.. لا بالكم التعليم الصحيح هو الذي يبث داخل طلابه روح

النقد والمدرس الناجح هو من يتحاور مع طلابه ويتقرب منهم فالمدرسة تعد بيت الطالب حيث أنه يقضي فيها نصف يومه.

***

مشكلة الطالب

-إن المشكلة الحقيقة تكمن في أننا فقدنا معاني الأشياء وفي حاجة ماسة لإعادة التعرف على حقيقة الأشياء مرة أخرى. فالطالب أصبح هدفه اجتياز الإمتحانات لا التعلم الحقيقي، فأصبح الطالب ينسي كل ما يتعلمه بعد اجتياز الامتحانات. والعدوى أصابت الجميع دون تميز بين الطالب المتميز أو الغير متميز، حتى أن الطالب المتميز الذي يهدف إلى التعلم لا الحصول على الشهادة أو الوظيفة أصبح يميل إلى اقتناء الكتب المعرفية من المكتبات، وهذا أمر جيد لا مشكلة فيه ولكن المشكلة تكون عندما يقرأ في الكتب المعرفية ويهمل الكتب الأكاديمية المدرسية، والمشكلة ترجع إلى أننا فقدنا معاني الأشياء وبحاجة ماسة إلى إعادة التفكير في كل شيء. فهذا الطالب يحتاج إلى أن يفكر خارج الصندوق ففي الصندوق الكتب المعرفية هي المعرفة بأثرها أما خارج الصندوق الضيق سيرى أن كل الكتب معرفية. ووضعت لإفادته فكتب الثقافة تحتوي على علم كما أن كتب الدراسة تحتوي على علم.

أود أن أخذ رأيك فى شئ عزيزى القارئ.

ما رأيك لو أنك عندما تقرأ كتاب غزير بالمعلومات والكلمات تأخذ خط تحت المعلومات المفيد والهامة وتحفظها؟

(موافق - غير موافق)

هل هذه الطريقة التي ذكرتها هي التي ستستفيد منها أكثر أم القراءة العابرة؟

إذًا ما رأيك لو قلت لك أن هذه هي فكرة المدرسة؟ ففكرة المدرسة هي فكرة دولة تريد أن تمنح أفرادها الثقافة ثم تعطي كل واحد منهم مكانة على قدر ثقافته، وأنا اقصد بكلامي فكرة التعليم لا مناهج الحشو.

ومن الأخطاء الشائعة أيضا التي نفعلها نتيجة افتقادنا لمعاني الأشياء

هو اقتناء الكتب المشهورة بتلخيص المناهج والتي هي عبارة عن سؤال وجواب.. ويعلل الطالب ذلك بقوله أن كتب الدراسة فيها حشو وكلام زائد

وأنا لا أنكر أن كتب المدرسة قد يكون فيها شيء من الحشو.. وخاصة في الدول النامية فهذا ما أصاب فيه..

أما الخطأ فهو يكمن في أنه سيفقد كم كبير من الثقافة إذا ابتعد عن الكتب المدرسية، فكتب المدرسة تحتوي على الكثير من الإفادة لو قرأت بقصد التعلم الحقيقي، والكتب الخارجية تحرم من يشتريها من الإفادة الكاملة.

وأحيانا نجد أحد الطلاب يكره المذاكرة والمدرسة..

ويرجع ذلك إلى أنه قد ربط المذاكرة بفكرة أنها تبعده عن المتع وعن اللعب والتنزه والأمر ليس كذلك، فالمفترض أن ينسق الطالب بين اللعب والدراسة ويعتبرها مستقبله، وبذلك سيحب الدراسة.

وبعد كل تلك المشكلات التي لم يعالجها أحد من قبل كان من الطبيعي جدا أن يكون المجتمع غير متحضر، وقد أصيبت بلادنا في الفترة الأخيرة بكارثة وهي أنه بدلًا من أن يتأثر الجاهل بالمتعلم فقد أصبح المتعلم هو من يتأثر بالجاهل، وهو أمر محزن وسبب ذلك ليس في كثرة عدد الجهلة ولكن السبب الحقيقي يرجع إلى أن التعليم لم يأتي بثماره الفكرية والإبداعية، وهذا بسبب أنه أصبح عادة.. فلو كان أتى بثماره ما تأثر المتعلمين بغير المتعلمين وإن كانوا قلة، ونجد كارثة تحدث في الجامعات نتيجة فقدنا لمعاني الأشياء فقد أصاب التشوه الفكري التعليم العالي والذين هم من المفترض أن يكونوا صفوة المجتمع، فنجد سياسة الجامعة التي وضعت لتنمية الإبداع وهي تتمثل في أن أستاذ الجامعة يقيم ما كتبه الطالب في الامتحان دون رقيب عليه، فبدل أن

يستخدم ذلك في تقيم إبداع الطلاب أصبح يستخدم ذلك كسلاح في وجه من يعارضه.

أتعلم يا صديقى أنني أشعر بألم شديد، وأنا أكتب عن المدرسة فأنا أحد الطلاب وهذه هي صرخة طالب أرجو أن يلتفت إليها أساتذتي وإخوتي الطلاب.

***

ثالثًا: الأصدقاء

-يلعب الأصدقاء دورا بارز في التأثير على سلوك الفرد، ولنتفق أن وجود الأصدقاء يعد شيء هاما بالنسبة للفرد.. لأن الإنسان بطبعه يحب أن يشعر بتقبل الناس له والأصدقاء لهم من الأثر ما لهم.

وتأثير الصداقة على السلوك هو تأثير نابع من تأثير ممتزج بتأثير

سنحلل النص لتتضح الصورة.

الأصدقاء هم عبارة عن مجموعة أفراد يؤثرون على بعضهم البعض وكل فرد منهم متأثر ببرمجة سابقة إذا فهو تأثير نابع من تأثير

وبعد أن يؤثر كلا منهم بالأخر.. يمزج كل واحد منهم هذه البرمجة ببرمجته السابقة، إذن فهو تأثير ممتزج بتأثير

لصديقة مشاعر غير مشاعره، وصفات ليست بصفاته، ويمكننا أن نقول أن هذا أمر إيجابي وسلبي في نفس الوقت، فزرع صفة أو شعور قد يكون إيجابي أو سلبي على حسب الصفة أو الشعور الذي يغرزه الصديق فى عقل صديقه وهذا يكون عن طريق الإيحاء بالتكرار بمعني أنه يؤثر إيجابا إذا أخذ الصديق يحث صديقه على الأفعال الحسنة ويصفه بالصفات الحميدة فبتكرار ذلك

سيغرز فيه شعور وصفات إيجابية يقول النبي سليمان: (الحديد بالحديد يحدد والإنسان يحدد وجه صاحبه)

(سفر الأمثال)

وهذا على عكس أن ينطق أمامه السب والتصرف بتهور وغير عقلانية.

يقول الحكيم بوذا: (الحيوان يجرح جسدك بينما الصديق الشرير يجرح عقلك وروحك).

أو أن يصفه بصفات سلبية قد تكون ليست فيه ولكن بتكرارها يسلم لها العقل ويعمل على أساسها، لذلك قال أحد الأفاضل: (إياك ومصاحبة الأشرار فإن طبعك يسرق منهم وأنت لا تدري)

-إن الأصدقاء مؤثرون لدرجة أن كل واحد يحمل شخصية صديقه، ولعل ذلك يكون سبب تغير المزاج.. فعندما يتغير مزاجك تجد نفسك تتصرف مثل أحد أصدقائك، ولذلك قال الشاعر (طرفة بن العبد):

إذا كنت في قومٍ فصاحب خيـــارهم ** ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

عن المرء لا تســأل وسـل عن قرينه ** فكــل قـــــــرين بالمقارن يقتدي

وقد يضر الصديق صديقه من حيث لا يشعر، فالأحمق يضر من حوله من حيث لا يشعر ويضيع وقتهم بدون فائدة، وهذا لأنه لا يعرف قيمة الوقت.

يقول بوذا:

(طويل هو الليل للساهر، طويلة هي الأميال العشرة للمتعب، طويلة هي دورة الميلاد والموت للأحمق الذي يجهل سواء السبيل) المرجع (الداماباداا - بعنوان سورة الأحمق)

وقد قال الأمام(علي) لابنه (الحسن) رضى الله عنهما، خير ما قيل عن اختيار الصديق فقال:

يا بني أحفظ عني أربعا لا يضرك ما عملت معهن:

أغنى الغنى العقل وأكبر الحسن حسن الخلق

يا بني إياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك

إياك.. ومصادقة البخيل فإنه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه

وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه

وإياك ومصادقة الكذاب فإنه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عنك القريب

(كتاب بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة)

-إن أصدقاء السوء هم من تشعر وأنت معهم أنك لست أنت، تشعر معهم بتحول طارئ في شخصيتك وتصرفاتك.. وهؤلاء يجب الإبتعاد عنهم. ويظهر أثر الأصدقاء بالسلب في قوله تعالى:

(وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا(29)

(سورة الفرقان)

فكان سبب ضلاله بعد أن تبين له الحق هو صديق السوء.

ويبرز ذلك في قصة وفاة أبي طالب عم النبي (محمد) صلى الله عليه وسلم، وهو على فراش الموت أخذ النبي يقول له: (يا عم قل لا إلٰه إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله) فسارع أصدقاء السوء (عبد الله بن أمية - أبو الحكم) وقالوا له: أترغب عن ملة عبد المطلب فاستجاب لهم وأبى أن يقول لا إلٰه إلا له.

وقد أخبرنا المولى عز وجل عن حال الأصدقاء يوم القيامة فقال

(الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) (67) سورة الزخرف

إن سبب عتاب الصديق لصديقه أنه يؤثر على سلوكه بشكل كبير، ويرجع سبب تأثر الصديق بصديقه إلى أن الفرد يحب أن يكون متقبل من الآخرين وفي نظره أنه إذا عرض في أمر يكون بذلك قد عكر مزاج المجموعة، كما أن سرعة استجابة الفرد لصديق السوء تتناسب طرديا مع شعور الفرد برفض الأهل وعدم تقبلهم له، وبالتالي فهو يحرص على ألا يكون مرفوضًا بين أقرانه.

وعلاج ذلك يكمن في أمرين

1-معرفة مدى خطورة صديق السوء، قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم (مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وأما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبا ونافخ الكير أما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاخبيثة)

2_البعد عن التبعية كن صاحب رأي وقرار ولا تدع غيرك يتلاعب بك.

***

رابعًا: التلفاز

-لا شك أن التلفاز له الكثير من الأهداف الإيجابية لأنه أسس من أجل هدف إيجابي وهو نشر الوعي والأخبار في وقت قصير بشكل واسع وسريع.

ولم ينشأ التلفاز لتضيع الوقت كما يفعل البعض.

وكما قلت سابقا وأكرر أننا فقدنا معاني الأشياء ونحتاج إلى إعادة فهمها مرة أخرى، فقد أصبح البعض يشاهد الأفلام والمسلسلات لتضيع الوقت، بينما مشاهدة التلفاز بدون إهدار للوقت في الحقيقة أمر مفيد للغاية، فالفيلم أو المسلسل عبارة عن رواية، ودور التلفاز الأساسي هو تثقيف الشعب وتنمية المعرفة فيقوم التلفاز بعرض الرواية التي تحتاج إلى مجهود لقرائتها على شكل فيلم فتعم الإفادة للجميع.

إن سبب استفادة قارئ الرواية المكتوبة عن مشاهد الرواية المعروضة هو أن القارئ يعرف قيمة ما يقرأ، ويحاول الاستفادة بكل الطرق ويمكن للمشاهد أن يحصل على نفس الإفادة إذا تفهم قيمة ما يشاهد ويخرج بثمار ما شاهده.

ولكن سرعان ما تحولت إيجابيات التلفاز إلى مساوئ، فأصبح يروج لأي فكرة عن طريق الإعلام سواء أكانت الفكرة صحيحة أو غير صحيحة، فقد يعرض فيلم يدعوا إلى إنحلال الأخلاق والفرد يتأثر بكل ذلك من حيث لا يدري حتى أنه يتأثر بالنكات التي تسخر من شخص وسنتطرق إلى ذلك فيما بعد بعنوان (تصديق الشائعات) ومن المؤسف أنه في بلادنا تتفنن السينما في نشر الرذيلة فتظهر البلطجي على أنه رجل فيقلده شبابنا ثم يقلده أطفالنا تشبها بالشباب، ويظهر العاهرة على أنها ذكية وقاهرة الرجال فتقلدها بناتنا مع التحلي بزي الفضيلة أمام العامة فيكون العهر داخليا لا خارجيا.

والتلفزيون يقوم على حاستي السمع والبصر، وما إن يندمج الفرد مع ما يشاهده إلا ويكون قد فتح بوابات عقله لدخول أي فكرة فـ (هتلر) لم يستطع غرز أفكاره عند الشعب الألماني إلا بعد تغييب الوعي عن طريق التلفاز (أعطني إعلاما بلا ضمير أعطيك شعبا بلاوعي) هكذا قال (جوزيف جوبلز) وزير الأعلام النازي لهتلر، وقد نجح بالفعل في التأثير على شعب بأكمله وغرز المعتقدات الخاطئة من خلال التلفاز، فالتلفاز أصبح الأفعى التي تقتلنا سمومها والتي ننتفع بجلدها، وكلا على حسب استخدام هذا السلاح ذو الحدين وشتان بين الإعلام الذي يبث الوعي و الإعلام الذي يغيب الوعي، فالحكومة التي تهدف إلى رقي شعبها هي من يكون إعلامها له دور بارز في

نشر الوعي لدي الأفراد، والحكومة الطاغية هي من تغيب وعي أفرادها من خلال التلفاز ولذلك قال أحد الأفاضل: (عندما تبول الحكومة على الشعب يأتي الإعلام ليعلمنا أن الجو ممطر)

ويمكننا أن نجابه ذلك من خلال إخضاع كل ما نسمعه على ميزان العقل والتفكير.

ولقد تعمدت ذكر تأثير التلفاز قبل الدين لأن الإعلام يستطيع أنشاء فكرة أو معتقد لدي المشاهدين، كما بإمكانه تشويه دين وإخراج الناس منه سواء أكان صحيح أو غير صحيح.

***

خامسا: الدين

لا شك في أن للدين أثار بالغة على سلوك وتصرفات الفرد، فلقد قامت الأديان بوضع الأسس والمعايير الإجتماعية والأخلاقية وبناءً عليه، فلقد قام الدين بين الافراد لحد السلوكيات المشينة والخاطئة ونشر المحبة والسلام. والدين هو الشيء الوحيد الذي كله إيجابيات، إلا أن عقلية أفراده الخاطئة تجعلك تظن أن الدين فيه سلبيات. ولكي نتفهم ذلك علينا الإجابة على ثلاث محاور

المحور الأول: على ماذا يقوم الدين؟ أو ما الفكرة العامة للدين؟

-الدين يشجع على كل ما هو خير ويعد من يفعل الخير بالخلد والنعيم الأبدي ويردع من يفعل الشر ويتوعده بالعذاب الأزلي.

إذًا فكرة الدين إيجابية للغاية، إلا أن الفرد هو من يحدث فيه سلبيات.

المحور الثاني: كيف يحدث الفرد سلبيات في الدين؟

يرجع ذلك إلى طبيعة الإنسان وسنفصل ذلك

أولا: أحب أن أبدأبنظرة الإنسان الخاطئة للدين. -

لقد أصبح الإنسان يفعل الخير ويبتعد عن الشر لا لأنه يريد الخير، بل لأنه يطمع في دخول الجنة.

إن الفرق بين من يعمل الخير لأنه يريد المصلحة للجميع وبين من يعمله طمعا في الجنة، كالفرق بين من يعمل الصالحات من أجل الله ومن يفعلها رياءً من أجل الناس.

كما أن هناك فرق شاسع بين من يبتعد عن الخطأ لأنه يضر غيره ومن يبتعد عنه خوفا من النار، ومن يبتعد عنه ليقول الناس عنه أن تقي.

ومن أخطر الأخطاء التي يرتكبها الفرد في حق الدين.. التعصب.

إن كل شيء له عدة زاويا ومن كل زاوية تري الحقيقة بشكل مختلف

محمود عبد الستار

والتعصب سمه من سمات الإنسان، فالإنسان دائما ما يتعصب لأيدلوجيته، ولم يخلُ من ذلك التعصب أحد، حتى أن الصفوة وكبار الفلاسفة كانوا

متحيزين لأفكارهم، وقد تعصب (أفلاطون) لمنهجه وأيدلوجيته، وظهر ذلك عندما قام بدثر منهج السفسطائية وتشويه صورتها.. وربما يكون لا يعلم البعض أن كلمة سفسطائية تعني الحكمة والحذق (معلم الحكمة)

إذًا فالإنسان متعصب بالطبع، ويمكننا أن نقول أن التعصب يتناسب عكسيا مع الرقي، فكلما ارتقي الإنسان قل تعصبه. إن التعصب هو أساس كلمة نحن وهم، و"نحن" و"هم" تنبع من اختلاف البرمجة وتختلف البرمجة باختلاف المبرمج و تنبع أيضا من شعور داخلي وهو أن كل واحد منا يظن أن معه الحق المطلق، وهذا على منوال ما كان يفعله العرب قبل الإسلام (بقولهم انصر أخاك ظالما أو مظلوما) وهذه الكلمة هي التعصب بعينه. حتى جاء الإسلام وأعاد نفس الجملة ولكن بمعنى مختلف فقال النبي (محمد) صلى الله عليه وسلم:

(انصر أخاك ظالما أو مظلوما.. بمعنى انصره إن كان مظلومًا بإعانته وإن كان ظالمًا بردعه عن الظلم فتكون قد أبعدته عن النار وهذا نصر له)

والعجيب في التعصب أننا قد نري شخص يتعصب لأيدلوجية أو معتقد معين فإذا غير وجهة نظره في هذه الفكرة أو المعتقد، يتعصب للأيدلوجية الجديدة ويعادي من يتبع أيدلوجيته القديمة.. وهذا يحدث في أي أيدلوجية يتم اعتناقها، وبما أننا نتحدث عن الدين سأضرب مثال بالملحدين وقبل أن أضرب المثال يجب علينا فهم معنى كلمة (ملحد)، إن البعض يظن أن كلمة

ملحد تعنى شاذ جنسيا، وهذا التعريف فيه ظلم وتعصب والصحيح أن كلمة ملحد تعني الطاعن في الدين. فمن يؤمن بديانة ويكفر بالأخرى فهو ملحد بها، فالمسلمون مؤمنون بالله والرسول وملحدين بالوثنية وكل ديانة غير سماوية، وكل من يكفر بدين فهو ملحد به سواء أكان هذا الدين سماوي أو وثني.

والملحدون قبل إلحادهم كانوا متعصبين لدينهم، وبعد أن تركوا الدين معللين ذلك بأن الدين يؤدي إلى التعصب ونسوا أن التعصب ينبع من الإنسان لا من الدين، فتعصبوا لإلحادهم من حيث لا يشعرون.

وهذا يرجع إلى الفلسفة الفارغة التي يقع فيها أغلب الناس، وهي أن الكثير من الناس يظنون أن الخطأ ينبع من غيرهم وليس هناك أي احتمال أن يكون الخطأ عندهم يقول بوذا: (إذا كان دينك يتطلب كره أحد ما فأنت بحاجة إلى دين آخر) وأنا أقول إذا شعرت أن دينك يتطلب كره أحد ما، فراجع نفسك فقد يكون الكره نابع منك لا من الدين.

ومثال على أن الإلحاد قد يؤدي إلى التطرف والإرهاب. فعند تأسيس الإتحاد السوفيتي من قبل البلشفية في عام **1922**م تمت الحيازة على السلطة آنذاك من الإمبراطورية الروسية حين كانت الكنيسة الأرثوذكسية الروسية متأصلة تأصلا عميقا في الدولة الاستبدادية، متمتعة بمزايا عدة وقد كان هذا عاملًا

هاما في صياغة الموقف البلشفي الرافض رفضا تاما للدين، ولقد كان للأتحاد السوفيتي تاريخ أول دولة يكون هدفها القضاء على الدين والاستعاضة عنه بالإلحاد، ولقد قام النظام الشيوعي بمصادرة الممتلكات الدينية والسخرية من الدين ومضايقة المؤمنين ونشر الإلحاد في المدارس قسرا وغلق دور العبادة.. ومنع المواطنين من ممارسة شعائرهم بل والتنكيل ببعضهم بحجة التآمر على الشعب وخاصة بعد أن رفع (كارل ماركس) شعار الدين أفيون الشعوب فزاد اضطهاد العباد. وعلى سبيل المثال أُضطهد المسلمون وقتل الكثير منهم، وأظن أنه من الخطأ الفادح نسب الإرهاب للإسلام أو لأي دين، فكل فعل يرهب شخص يسمى إرهاب.

فالعصابات والمافيا إرهاب، وكل من يفعل فعل يرهب به الناس يسمي إرهابيا أيا كانت خلفيته.. ومن مظاهر الظلم التي تعرض لها المسلمون آنذاك أنه عام 1980م كان عدد المسلمين خمسين مليون تقريبا

وكان عدد المساجد لا يتجاوز خمسمائة (500) مسجد، أي أن معظم المسلمين قد عاشوا دون أدنى حرية دينية، وحرموا من ممارسة أقل الحريات التي من المفترض أن تكون مكفولة للإنسان وهي حرية الفكر والمعتقدات.

وليس بالعدل أن نقول الإلحاد إرهاب ولا الملحدون يعلمون الحق ولكنهم معرضين، فليس هناك من يعرف الحق ويتركه أو يعرض عنه، إنهم

ضحية للمحور الثالث: وهم (رجال الدين)، لقد ابتليت الأديان برجال الدين الذين يطلبون من الناس ألا يفعلوا الشر مطلقا وأن تكون حياتهم كلها عبادة، والطبيب متهم فهم يطلبون من الناس ألا يرتكبوا الأخطاء مطلقا وهذا مخالف لطبيعة الإنسان، والأديان تعاملت مع الوقوع في الخطأ على أنه أمر طبيعي وغريزة داخل الإنسان.

يقول النبي محمد صل الله عليه وسلم: (أن الله يحب العبد المؤمن المفتن بالتوبة) (مسند أحمد).

ويقول يسوع في إنجيل متَّى (فاذهبوا وتعلموا ما هو: إنى أريد رحمة لا ذبيحة لأني لم آت أدعوا أبرارا بل خطاةً إلى التوبة)

إن الملحدين ضحية رجال الدين الذين قصّروا فى عملهم وبات هم كل منهم الحصول على الأموال وكسب احترام الناس، إنهم يصفون كل من يخالفهم بالسفاهة وكأن الله لم يهب العقول لأحدٍ غيرهم.

ومن المحزن أن نجد أبناء الدين الواحد يتصارعون بسبب اختلاف المذهب أو الطائفة، ومن المؤسف أن نجد الشيوخ والقساوسة يشجعون على التعصب للمذهب أو الطائفة، بل أنهم قد يدعون على أصحاب المذهب أو الطائفة

الأخرى ويصل الأمر إلى الحروب فنجد الخلاف بين السنة والشيعة، والتكفير الساري والحروب التي مات ضحيتها الكثير من الصحابة.

وفي المسيحية نري الخلاف الحاد بين طائفتي البروتستانت والكاثوليك، ويظهر في حرب الثلاثين التي خلالها انخفض عدد ألمانيا بمقدار 30٪ وفي أرض براند بنورع بلغت الخسائر النصف، وفى بعض المناطق مات ما يقدر بثلثي السكان كما انخفض عدد سكان ألمانيا من الذكور بمقدار النصف تقريبا وانخفض عدد سكان الأرض التشيكية بمقدار الثلث.. وقد دمر الجيش السويدى وحده 2000 قلعة و18000 قرية و1500 مدينة في ألمانيا أي ثلث عدد جميع مدن ألمانيا.

وبعد كل تلك الخسائر لازال بعض الشيوخ والقساوسة يتبعون فكرة نحن وهم حتى أخذها منهم أبناء الدين.. وأنا لا أعمم كلامي على كل رجال الدين، فليس هناك شيء إيجابي فقط ولا سلبي فقط وإن من يتعصبون للمذهب أو الطائفة لم يتفهموا أن كل دعوة ناجحة لابد وأن تنقسم، فالإختلاف لايترك دعوة إلا وقسمها، حتى أن الملحدين الذين لا يدينون بأى دين انقسموا فمنهم الربوبين وهم المؤمن بوجود الله فقط ومنهم المنكر لوجود الله.. ومنهم اللاأدري وهم الذين يستوي عندهم الامرين.

كما بعض رجال الدين العلماء وقفوا أمام تيار العلم، فنجد من يدعي أنهم حملة الدين في أوروبا حاربوا العلم والعلماء ومن هؤلاء العلماء العالم (جاليلو) الذي قال: (أن الأرض ليست مركز الكون وأن الكواكب تدور حول الشمس) فوقف أمامة البابا وأُوتي به وعقدت محاكمة تفتيش وحكم عليه بالسجن بتهمة الهرطقة، وكما سجن وقتل الكثير باسم (المهرطق) نُفيَ وقُتل الكثير باسم (الزنديق)

كما أن رجال الدين في شبه الجزيرة العربية وقفوا أمام تيار العلم، فعندما دخلت الاتصالات اللاسلكية إلى السعودية حاولوا منعها بحجة أن الشيطان هو من ينقل الكلام.

وأنا لم أعمم فهناك من الشيوخ والقساوسة المتحررين فكريا.

ولكن الطريقة التي اتبعها بعض رجال الدين والضغوط المجتمعية التي تحط بالفرد أثرت عليه سلبا فأصيب أفرد المجتمع بالازدواجية.

فنري اللص يسرق ثم يذهب ويحتضن أولاده..

والبلطجي يمارس بلطجته على الناس إلا أنه يكره أن يلحق أحد مكروه بأهله.

والشاب (الشابة) يمارس العادة السرية ثم يغتسل ليصلي، وتظهر الإزدواجية في بلادنا فيما يعرف باسم المهرجانات فالكلمات التي تقال فيها حزينة إلا أنه يتبعها موسيقي صاخبة، ويسمعها الفرد فيفرح وأنا لا أعترض على المهرجانات بعينها، ولكن أعترض على الكلام الفارغ والتناقض بين الموسيقي والكلمات ولو قدم من يغنى المهرجانات كلام ذو معنى فما أجمل ذلك، ما أجمل أن تكون بلادنا مشهورة بنوع معين من الفن.. إن الإزدواجية نراها بأعيننا كل يوم.

يحكى أن مُغني قام بأداء أغنية عن الإزدواجية وما إن سمعها الناس حتى قالوا إن الأغنية قد أثرت في سلوكنا في التو، وهم لا يعلمون أنهم مصابون بالإزدواجية، وتأثير الأغنية كان لفت انتباههم لذلك، لأنها لم تؤثر وإنما عبرت عمَّا بداخلهم.

ومما زاد الطين بله أن الشيوخ يتكلمون على السلف وكأنهم معصومين وأنهم صنعوا مجدًا لا يمكننا صنعه أبدا، فيقتنع المستمعون بذلك ويقولون أين نحن منهم؟ إنهم معصومون يستحيل أن نكون مثلهم.. والحقيقة أنهم بشر مثلنا يخطئون وبإمكاننا صنع حضارة يحكي العالم بأسره عنها وحينها بدلًا من أن نقول كانوا، سنقول نحن.

إن البعض يستخدم الدين لصالحه، وفى التاريخ أمثلة كثيرة على ذلك

ومن الذين لعبوا على هذا الوتر (نابليون) وهذا يظهر في مقولته المشهورة (لم أستطع إنهاء حرب الفاندي إلا بعد أن تظاهرت بأنى كاثوليكي حقيقي، ولم أستطع الاستقرار في مصر إلا بعد أن تظاهرت بأني مسلم تقي.. وعندما تظاهرت بأني (بابوي) متطرف، استطعتُ أن أكسب ثقة الكهنة في إيطاليا، ولو أنه أتيح لي أن أحكم شعبًا من اليهود لأعدت من جديد معبد سليمان)

والسبيل إلى معالجة الإستهانة بعقل الفرد هو تعقل كل كلمة تقال

والسبيل إلى عدم التعصب الديني هو معرفة منهج الدين الصحيح، وتحرير العقل من الجمود الفكر ونسيان فكرة الحق المطلق.

والسبيل إلى معالجة الإزدواجية هو معرفة ذاتنا الحقيقية، ومعرفة معاني الأشياء فنحن قد فقدنا معاني الأشياء ونحتاج إلى إعادة التفكير في كل الأمور صغيرها وكبيرها.

عزيزى القارئ.. إن كل شيء له عدة زوايا ومن كل زاوية ترى الحقيقة بشكل مختلف، فالإنسان يرى الجمل عملاقا.. والجمل يرى الإنسان عملاقًا وأنا صراحةً لا أعرف من هو العملاق فيهم، فالإنسان ينظر للجمل من زاوية والجمل ينظر للإنسان من زاوية أخري.

عزيزى القارئ.. هل فكرت أن تقرأ في مكتبة المسجد الذي تصلي فيه؟!!

ربما.. وربما لا، تعلم أن للمسجد مكتبة، هل فكرت ولو لمرة واحدة أن تذهب إلى مركز الشباب، ولو لمرة يعني لتغير روتينك اليومي، ودخلت المكتبة ونفضت من على كتبها الغبار ثم قرأت بدلًا من أن تلعب كره ولو لمرة؟، لا أقول دائمًا وإنما أقول ولو لمرة افعل.

***

سادسا: الظروف

لا شك أن الظروف تؤثر على الفرد تأثير بالغا وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:-

1- ظروف طبيعية
2- ظروف حضارية
3- ظروف يمر بها الإنسان (التجارب)

-أولا الظروف الطبيعية: وتعني الظروف التي ليست بيد الإنسان وسأضرب لك مثال بالمناخ وسنتكلم عن ذلك بإيجاز لأن تغير المناخ ليس بيد الفرد.

إن المناخ يؤثر على نشاط الفرد وسلوكه، فالمناخ الحار والبارد يؤديان إلى الخمول، أما المناخ المعتدل فهو يساعد على الحركة والنشاط، هذا من ناحية تأثير المناخ على النشاط.

أما من ناحية تأثيره على السلوك، فسكان الأماكن الحارة غالبا ما يتميزون بالخشونة والغلظة، وسكان الأماكن الباردة غالبا ما يتميزون بالرقة..

والأماكن التي تتميز بالمظاهر الطبيعية الخلابة غالبا ما تسبب لسكانها الراحة النفسية.

-ثانيا: الظروف الحضارية (البلد التي تعيش فيها)

إن المجتمع المتحضر يختلف اختلافا تاما عن المجتمع الغير متحضر، وبالتالي فسلوكيات أفراد كل مجتمع تختلف عن غيره سواء في الأفعال أو التصرفات أو حتى النزاعات.

فتجد سكان الدول المتخلفة (النامية كما يحب البعض أن يقول) كل طموحهم الحصول على طعام اليوم، وتجدهم غالبا ما يتسمون بالوحشية.

وتجد سكان الدول النامية كل همهم أكل وشرب وملبس جيد، وغالبا ما يتميزون بالهمجية وعدم معرفة أهمية الوقت،

وتجد طموح سكان الدول المتقدمة ط واسع.. ويريدون زيادة التقدم التكنولوجي والذهاب إلى المريخ وتعميره، وإذا سألت أحدهم عن حلمه يقول حلمي أن أصبح رائد فضاء مثلا، على عكس الدول المتخلفة التي كل حلمها أن تحصل على وجبة اليوم والدول النامية فالفرد فيها يريد الحوزة على سلطة ليعيش في نعيم ويحصل على مكانة ويسيطر على الناس..

وغالبا ما يتصف أفرد المجتمع المتقدم بالرقي، ولا شك بأن التكنولوجية لها أكبر الأثر في رقي الإنسان وتنمية ذكائه، كما أن لها سلبيات سنذكرها فيما بعد تحت عنوان (الكسل)

في بلادنا ليست القرية هي من تحتاج إلى أن تتطور وإنما عقولنا هي التي تحتاج إلى أن تتطور

محمود عبد الستار

وكما أن حضارة البلد تؤثر على سلوك الفرد وطموحاته فإنها تؤثر أيضا على الطريقة التي يتنازع بها، فالنزاعات في الدول الغير متحضرة تعتمد على القوة البدنية حيث يعتمد فيها الفرد على استخدام قوته البدنية لإيذاء خصمه.

أما في المجتمعات المتحضرة، فيعتمد الفرد في نزاعه مع خصمه عى استخدام الذكاء، ولما كان الأمر في النزاع، فسيكون قد استخدام ذكاءه بطريقة لا أخلاقية كاستخدامه في المكر والخداع.

-إن نشأتك في دولة ما يجعلك تحمل معتقدات وأفكار الدولة التي تعيش فيها فلو، ولدت في إسرائيل لاعتبرت أن اليهود مضطهدين وأنهم شعب الله المختار الذي يضطهده العالم.. وتقول لقد اضطهدنا النظام النازي وقتل منا الملايين وأخرجنا العرب من ديارنا ونحن لنا الحق في فلسطين.. هذا ما يتربى عليه الطفل الإسرائيلي، وهو في نظره عندما يكبر ويقتل أشقاءنا الفلسطينيين يكون مُدافعًا عن عرقه المضطهد، وهو بذلك يفعل أمر حسن -(تذكر دور

الأسرة)- بينما لو ولدت في دولة عربية ستعتبر نفسك من خير أمة أخرجت للناس، وأنك أشجع وأقوى من في العالم، وأن العالم كله يتآمر ضدك، وأن الإسرائيليين معتدين ويستحقوا كل بلية وشتان بين الأعتقادين.

***

ثالثا /الظروف التى مر بها الأنسان:

(التجارب)

****

-إن الظروف التي يمر بها الإنسان تشمل الأسرة والأصدقاء والمواقف الحياتية.. وقبل أن أكمل هل تتذكر دور الأصدقاء وتأثيرهم على بعضهم؟

*إذا كنت لا تذكر الأشياء بسيطة أرجع إليها مرة أخرى، وإن كانت حاضرة في ذهنك فأكتب ملخص ما أستفادته مرة ثانية باعتبار أنك لخصت قبل ذلك ما قرأته

لنكمل...

*إن الظروف والمواقف الحياتية تؤثر على الفرد تأثيرا كبيرا، فهي تعد المرجع الأساسي لأفكاره وآرائه، ولعل الظروف والتجارب هي سبب اختلاف نظرة العجوز عن الشاب عن الطفل للحياة وهذا ليس لاختلاف الشخص، فلو تذكر العجوز مراحل حياته منذ الطفولة إلى الشيخوخة سيجد في كل مرحلة من عمره تتغير آراءه ووجهة نظره.. وهذا يرجع لكثره التجارب والخبرات.

والسؤال هل الإنسان يمكنه تغيير الظروف؟

لا شك أن الظروف السلبية تؤثر سلبا على الفرد، ولكن لا مانع أن يقوم الفرد بتغير سلوكه وأحواله.. ولتغير الصفات السلبية المتأصلة داخل الإنسان عليه القيام بإيحاء داخلي، وسنتكلم عن الإيحاء بعد معرفتنا للأخطاء التي قد يقع فيها العقل، ولقد قصدت وضعها بعدها لكي نستطيع تغير كل ما هو سلبي من خلال الإيحاء.

ويستطيع الإنسان تغيير الأحوال والظروف التي يمر بها، فيمكن للإنسان إذا ولد في أسرة فقيرة أن يغير ذلك بالعمل فيصبح غنيًا، وإذا كان حزينًا لما مر به يمكنه أن يحول الحزن إلى سعادة، كما يمكن تحويل الصلب إلى سائل.

يقول (بوذا): (حياتنا تشكلها أفكارنا، فلو أن أفكارك نقية وتهرول صوب الخير فلن تغيب عنك السعادة)

*إن تفكيرك في المتاعب يجلب لك الحزن مثلما يجذب المغناطيس الحديد لذلك قال احد الأفاضل (أنت لا تحتاج إلى البحث عن السعادة فهي ستأتيك حينما تكون قد هيأت لها موقعا في قلبك)

سأعترف لك يا رفيقي بأن الحياة صعبة لاشك في ذلك ومن يقول لك غير ذلك فهو غير واقعي، و يخدعك حتى أنه لا تخلو قصة واقعية ولا رواية خيالية

من مواقف حزينة حتى لو كانت الرواية تتحدث عن السعادة وستلاحظ ذلك عندما تقرأ رواية الكتاب..

ولكن أريد أن أعترف لك اعترافا آخر وهو أن الأذكياء وحدهم من يستطيعون خوض المغامرة، عافر ولا تترك الأمواج تحركك كيفما شاءت، بل كُن كالسفينة المتطورة التي تتحرك في المحيط كيفما شاءت.

وقد أعجبتني الكلمات التي قالها الدكتور (مصطفي محمود) والتي تستحق أن أنقلها لكم بالنص:

(إن نباتات الصحراء عندما تذرو بذورها مع الريح تواجه مصيرا مظلما، فهناك فرصة واحدة من ألف فرصة في عثور البذور على قطرة ماء، ومع هذا فهي تعثر على الفرصة وتعيش ونحن لسنا أشجار، إننا آدميون)

إن حياة الإنسان في البداية تكون مسيّرة على حسب العوامل السابقة ثم يصير الإنسان حينما ينضج هو المسئول عن نفسه وعن تصرفاته وسلوكه.

فكر ما الذي يعكر عليك حياتك؟

هل الفقر؟!! إنك غني، تمتلك يدين وقدمين وأعضاء لا ترضى مقابل بيعها مليارات الجنيهات، هذه الأعضاء التي تعمل دون أجر.. هل قالت لك عينك

في مرة ادفع تكلفة الرؤية؟! هل قالت لك رجلاك ادفع لي مقدار من المال مقابل سيري؟!! لماذا أنت حزين؟ هل أنت حزين لأنك خدعت في شخص كان عزيزًا على قلبك؟

أنت بذلك تشغل عقلك وقلبك بمن لا يستحق أخذ كل هذه الأوقات من حياتك.

لماذا أنت حزين؟ هل أنت حزين لأن هناك أمرا ما عكر صفوك؟ إذن نقي عقلك منه، وحينها ستمنح عقلك انفراجا رهيبا.

يقول نجيب محفوظ: (النباتات لا تمتلك العقل ولو غطيتها بصندوق فيه ثقب لخرجت من هذا الثقب متبعة للضوء، فما بال بعضنا لا يتبع النور ونحن نمتلك العقول)

وأ حب أن أجيب عمن يسأل عن السعادة ويقول أين هي؟

* إن السعادة يا صديقي ليست في كنز الأموال على حساب الصحة ولا في الفقر المهين ولا في الزهد المشين. لمن يريد السعادة، فالسعادة في الرضى والثقة والاتزان، الاتزان في كل شيء.. الاتزان من الداخل ومن الخارج، فعدو السعادة هو القلق. لمن يبحث عن السعادة ويقول هي ضالتي، السعادة في الرقي وتحقيق

الانجازات.. السعادة هي أن تحلم حلم ثم تحققه.. السعادة في السعي وتحقيق الأهداف والوصول إلى الغايات.

السعادة تجدها لحظة النجاح السعادة في النجاح.

أعرفت الآن أين تكون السعادة؟

وبذلك نكون قد انتهينا من ذكر مرجعية تفكير الإنسان وعالجنا الكثير من المغالطات.

لننتقل إلى عنوان جديد باسم أخطاء يقع فيها العقل.

***

أخطاء يقع فيها العقل

****

المخطئ لا يدرك أنه مخطئ

****

-إن مشكلة الإنسان هي اختلاف المعاير والمناظير، فكل واحد منا يرى الواقع كما يريد أن يراه، ويحدد الحسن و القبيح من خلال البرمجة التي بُرمج عليها -(العوامل الستة)- و يعتبر تلك البرمجة مرجعا أساسيا له في تقييم الأشياء وباختلاف البرمجة تختلف وجهة النظر، فأنت قد ترى أن شخصا قد أخطأ بينما هو لا يظن ذلك، فهو ينظر إلى الفعل على حسب برمجته هو، ينظر له على حسب معاييره هو، وغالبا ما يكون المخطئ لا يدرك أنه مخطئ.. فالإنسان يظلم ولا يحب أن يظلم وهذا نابع من أنه عندما ظلم لم يدرك أنه يظلم، فنحن ننظر للأمور وفق هوانا وعلى حسب برمجتنا السابقة فلو قلت (الحيوانات في

فى الغابة) أظن أنك لم تلاحظ تكرار حرف الجر "في" لأنك تعوده على قرأتها هكذا ((الحيوانات في الغابة)) وليس في في الغابة.

فأنت تنظر للأمور وفق برمجتك السابقة.. وقد صدق من قال: (العالم ينبع من داخلنا ويصب فينا) لذا فالصواب هو ما نراه صواب والخطأ هو ما نراه خطأ، وما هو حق عندك قد يكون باطل في عين غيرك، وما هو أبيض عندك قد يكون رمادي في عين غيرك، ولو غيرت نظرتك للأشياء لتغيرت معاني الأشياء.

ملاحظة: ليس كل مخطئ لا يدرك أنه مخطئ ولكن أغلب من يخطئ لا يدرك أنه مخطئ.

إن كل شيء له عدة زوايا ومن كل زاوية تري الحقيقة بشكل مختلف.

محمود عبد الستار

تصديق الأشاعات

إن الشائعات هي بلية بلادنا اليوم لذلك توجب عليا ذكرها.

فالشائعات جعلت من العقل الجاني والمجني عليه.. وليس بالصعب ترويج إشاعة كما أنه بكل سذاجة يتم تصديق الإشاعة واعتبار أنها حقيقة، وقبل أن نتكلم على خطورة الإشاعة وعواقبها سنذكر إجمالا كيف تنشر الإشاعة:

1_الثرثرة 2_النكات والمقولات 3_التخمينات

4_ التنبوء بخير أو بشر 5_القذف

*وعند غياب الوعي يقوم الإنسان بتصديق الإشاعة وهو يحسب أن الكلام يصله بدون زيادة أو نقصان أو تعديل،

والإشاعة نوعان:

1_بقصد وفى هذه الحالة يكون غرض المشيع تشويه صورة المشاع عليه بسبب عداء أو خلاف أو حقد وما إلى ذلك، وغالبا ما يكون الإنسان المشاع عليه من العظماء. وقد لحق بالأنبياء الأذى والضرر بسبب هذا النوع من

الإشاعات، فقد أشيع على السيدة عائشة في حادثة الإفك بغرض تشويه صورة الإسلام.

-كما أشيع على يسوع (عيسى) عندما أرادوا أن يقتلوه ولم يجدوا فيه أى شاكية فأثاروا التهم الباطلة وأتوا بشهود زورا ادعوا أن يسوع قال: أنه يريد هدم الهيكل وبناءه في ثلاثة أيام، كما أنه قد أشيع على النبي يوسف وقوعه في الفاحشة وسبب ذلك أن الناس يظنون أن الكلام ينقل لهم بدون زيادة ولا نقصان، ولا أعلم لماذا لا نكف عن الثرثرة؟!! نحن نحب انتقاد غيرنا ونتدخل في حياة الآخرين ونرفض الرقي والتمدن.. غير أفكارك وحدث برمجتك ولاتكن منغلقا ولا متدخلا في حياة الآخرين من أجل الفضول، واسأل نفسك لماذا أتدخل في حياة الآخرين...؟ حتى لو لم يكن ذلك على سبيل الإشاعة. مالك ومال الآخرين؟ لماذا تعيب على هذا وتنتقد هذا؟ وما دخلك لو كانت أفعالهم لا تعجبك مادام هم سعداء بأفعالهم؟ كف عن الثرثرة والتحدث في شئون الناس فهي شؤونهم لا شؤونك. ورجاءً أُترك كل واحد يعيش عالمه الخاص به دون وضع منخارك في حياته الشخصية.

يقول النبي محمد صل الله عليه وسلم: (كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع) (صحيح مسلم) فلا تكثر من نقل الكلام وكف عن الثرثرة.

وكانت عقوبة الإشاعة في الأديان شديدة لخطورتها

يقول يسوع (كل كلمة بطالة (أي غير مقصودة وغير بناءة) يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين، لأن بكلامك تبرر وبكلامك تدان)

وقال أيضا: (أما لسان الأكاذيب فيقطع) (سفر الامثال)

كما أن الإسلام استخدم طريقة ذكية للقضاء على الإشاعة التي لا زالت تفتك بعقولنا حيث أنه بين خطر الإشاعة وأمر المستمع بالتمحيص ووضع عقوبة لمن يرتكبها ولكن لا أحد يطبق، أو دعنا نقول الغالبية لا تطبق.

فقال عن خطرها عندما تحدث عن المنافقين في سورة التوبة (47)

(لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة، وفيكم سماعون لهم، والله عليم بالظالمين.)

فالأيات بينت مدى خطورة تأثير الإشاعة، ثم بعد ذلك يأمر اللهُ المؤمنَ بالتمحيص فيما يسمعه حتى لا يكون فريسة للإشاعة فيقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ(6)) (سورة الحجرات)

وفى الآية أمر للمستمع بـأن يتفكر فيما يسمعه ووصف لمن ينقل الأشعة بالفسوق لعله يتراجع.

كما وضع عقوبة لمرتكبها فوضع حد القذف ثمانين جلدة.

وهناك نوع آخر من الإشاعات:

2_أن يشيع الفرد بدون قصد وهو يقع بسبب خطأ التعميم والحذف مثال: "ذهب أحمد إلى أحد المدن فسرقت منه محفظة النقود ولما عاد أخبر أصدقاءه بأن أهل تلك البلدة سارقين "

وهنا وقع في خطأ التعميم عندما حذف خصال الفضلاء الموجدين في المدينة ولعله لو فكر قبل أن يروج الإشاعة على تلك البلدة قد يستوعب أنه يمكن أن يكون السارق ليس من البلدة أصلا.

وقد أصيبت بلادنا بهذه الكارثة فنجد قائمة لوصف أهل كل مدينة بصفات حسنة أو قبيحة فتجده يصف أهل المنوفية بالبخل ويصف سكان محافظ الغربية بأنهم "فلاحين" – يعني عديمي التحضر- فنحن كما قلت سابقا فقدنا معانيا لأشياء فاختلطت الأمور علينا فمن يصف أهل محافظة كاملة بالبخل فإنه واقع في خطأ التعميم والقذف، لذا رجاءً تمعَّنوا فيما تقولون وكفاكم عمل بالأمثلة الفارغة التي تهون من شأن الكلمة. يقولون الكلام ليس عليه جمارك وأنا أقول أن كلامك هو ميزان عقلك وهو المعبر عنه لذلك قال سقراط تكلم حتى أرك و إذا كان لا بد من أن تتفلسف بمثل فاستبدل الأول بالثاني

وهناك نوع آخر من الأشعة بدون قصد وهو التحريف دون قصد الضرر فهناك بعض الناس لابد وأن يزيدوا في الحدث ليهولوا من صنيعهم أو صنيع ذو صلة بهم و ما أشبه هذه الإشاعة في خطرها بالإشاعة المقصودة، فكلاهما يلحق ضررا شديدا ويصعب التميز بينهم لأن الفرق بينهم هو فرق النية، فإنهم متفقون في تشويه صورة الشخص، إلا أنهم اختلفوا في المقصد، فمن يقع في خطأ التحريف يقصد بذلك تهويل وتضخيم أفعاله، أما من ينشر الإشاعة بقصد يكون هدفه تشويه صورة عدوه وقد يكون التحريف في حدث فعله الشخص أو في حدث آخر سمعه. وتكمن الخطورة عندما ينقل ذلك لشخص آخر فيكون الكلام حينها أشبه بالكرة الثلجية التي كلما تحركت من مكان لمكان زاد حجمها.

ولكيلا تقع في خطأ نقل الإشاعة عليك التدقيق والتمحيص فيما تقول وعدم إلقاء الكلام العشوائي فغيرك يعتبره حقيقة.

***

الكسل

إن الكسل من الأشياءالتي يصطنعها عقل الإنسان بهدف الراحة، فالإنسان بطبعه يحب الراحة ويفضل السعادة اللحظية وإن كان يعلم أن توانيه وتراخيه عن العمل سيجلب له الضرر و الحسرة والندامة فيما بعد، فهو يتوانى عن العمل بهدف الراحة والحصول على السعادة اللحظية حتى لو كانت السعادة التي سيحصل عليها لو قام بالعمل أكثر بكثير فإنه لا يبالى وسيتكاسل عنها فنجد الطالب الذي يتكاسل عن المذاكرة يشعر بسعادة لحظية إلا أنه يشعر بالندم فيما بعد، فالكسل ما أصاب فرد إلا أذله وحقره والكسل العقلي يمثل عائق كبير أمام التحرر من الجمود حيث أن التحرر منه يحتاج إلى عزيمة وإراده ولا ينفعها الكسل الذي يرخي قبضة العزم.

وقد يكون للتقدم التكنولوجي أثر على تكاسل الفرد، فبعد أن أصبح كل شيء متوفر وسهل أصبح الإنسان يتكاسل وخاصة المراهقين.

فبعد أن أصبح جودة الانترنت على الجوال رائعة أصبح يتكاسل على الجلوس على الكمبيوتر ويفضل استعمال الجوال وهو نائم على سريره حتى أنه أصبح يتكاسل عن إمساك الريموت لتغيير قنوات التلفاز.

وإنه لأمر محزن أن يكون هذا حال شبابنا، وهذا الكسل منبعه حب الراحة يقول أحد الأفاضل: إذا أردت ألا تتعب فاتعب حتى لا تتعب ومن العوامل الأخرى الفراغ، فالإنسان المعتاد على العمل لا يطرأ عليه هذا النوع من الكسل يقول يسوع (الرخاوة لاتمسك صيدا، أما ثروة الإنسان الكريم فهي الاجتهاد) (سفر الأمثال)

وقد استعاذ النبي محمد (ص) من الكسل فقال (اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل)

إن الكسل يعود على صاحبه بالحزن والاكتئاب وإذا كان صاحبه حزين فهو يزيد عليه حزنه، فأنقذ نفسك من خطر الكسل والتثاقل والتواني لو كان لنفسك عندك أدنى اعتبار لذلك قال أحد الأفاضل إياك وأن تعمل على قدر حاجتك ولكن اعمل على قدر الطاقة التي أودعها الله فيك

أيها الكسالى ويحكم ويحكم، أتريدون أن تنحني القمة لكم

ولكي تتخلص من الكسل عليك بوضع أولويات العمل على أساس الأهم فالمهم فالأقل أهمية

قسم وقتك على أساس أن تقوم بفعل المهم العاجل الذي لا يصح تأخيره أولا مثل مذاكرة ليلة الامتحان

ثم بفعل المهم الغير عاجل وهو الأمر المهم تنفيذه ولكن لا يشترط القيام به للتو مثل التخطيط للمستقبل

ثم تقوم بفعل العاجل الغير مهم مثل مشاهدة مباراة للكرة على سبيل الترفيه

ثم الغير عاجل والغير مهم مثل الجلوس لتضييع الوقت للعب على الكمبيوتر أو الجلوس إلى شبكات التواصل الإجتماعى

إن الحياة قصيرة جدا وأنت يا مسكين حكم عليك بمغادرة الحياة سريعا لذلك لا تهدر الوقت واعرف قيمته وسل نفسك دائما هل ما أفعله مفيد أم غير مفيد؟ أتعلم يا صديقي أن جلوسك مع صديق سوء يعد إهدارا للوقت؟ فلو مارست رياضة أو حتى نمت بدل أن تضيع وقتك معه فقد استفدت من وقتك واعلم أن الوقت كالذهب ولا يعرف قيمة الوقت إلا من يريد لنفسه الرقي والناجحون هم فقط من يعرفون قيمة الوقت أم الأشخاص العليلة الفاشلة هي فقط من تهدر الوقت وبإمكانك أن تختار قرر أي منهم تريد أن تكون

تذكر سلبيات الماضي

إأن الواحد منا ما إن تصيبه بلية حتى يقوم بتذكر جميع الأحداث السلبية التي مر بها فيزداد حزنا على حزنه وغما على غمه ويرجع السبب إلى:

1_الانتقاد والتهكم من الأسرة فهو كفيل بأن يشعر الفرد بالخيبة ويجعله يسترجع بعض المواقف التي لم يفلح فيها وهو لا يدرك أن كل واحد منا مر وسيمر بخيبات فكل منا له خيباته وهذا ليس بعيب ولا مانع للنجاح وإنما هو أمر لابد من حدوثه ولكن الفرق بين الناجح والفاشل طريقة التعامل مع الخيبات فالفاشل يتذكرها ويبكي عليها أما الناجح فيستفيد منها ويحرص على عدم حصولها في المرة القادمة.

2_الأشخاص السلبيين الذين يجعلون الفرد متشائم ويذكروه بسلبياته وما أشد تأثير ذلك لو كانوا أصدقاء.. هل تذكر أثر الأصدقاء؟

إن الأصدقاء السلبيين دائما ما يتوقعون الأسوأ لك ويدعونك إلى التواني والتكاسل عن العمل

> لا تضيع وقتك في تذكر سلبيات الماضي بل فكر في حاضرك الذي تعيشه فإنه سيكون ماضيك
>
> محمود عبد الستار

راجع أثر الأصدقاء على شخصية بعضهم البعض.

ولكيلا تقع في هذا الخطأ عليك تصفية حسابك مع الماضي وطرح أسئلة واضحة ولا تقبل إلا بإجابات أكثر وضوحا أو على الأقل لا تقل وضوحا.

سَلْ نفسك لماذا أفكر في سلبيات الماضي والماضي قد مضي؟

هل لو فكرت مرارا سأعيد الموقف مرة ثانية وأعالجه؟

أظن أنه لا خلاف بين من يتحسر على الماضي وبين الذي سكب اللبن وبكى عليه فكليهما يتحسر على ماضيه الذي لا سبيل لإرجاعه ولن تستفيد إلا زيادة الهم والحزن. فلا دعي لارتكاب حماقة جديدة وعليك أن تقرر بنفسك وتستعد لبداية جديدة فأنت ابن اليوم وبدلا من أن تترك عقلك يرجع إلى الخلف بالتفكير في الماضي، فكر في حاضرك، فمن يري الحاضر قد رأى الماضي ولا داعي لتذكر الماضي وخاصة لو كان سلبيا، فالحاضر عبارة عن تيار سرعان ما ينجرف ويكون ماضي. يقول الغزالي: (لا تجعل غيوم الماضي تغطي شمس الحاضر).

3_لكسب تعاطف الناس فهناك أشخاص يتذكرون سلبيات الماضي ويتصنعون السلبية لاعتقادهم أنهم بذلك يجذبون الآخرين إليهم بتمثيلهم دور الضحية و أنهم مظلومون و الحياة قد جارت عليهم وهم في حقيقة الأمر مخطئون في اعتقادهم، فالإنسان بطبعه يحب الشخصية الإيجابية الناجحة وهو بأسلوبهم هذا يمنعون قلوب الآخرين من الاقتراب منهم فتكون السلبية كالجدار العازل بينه وبين من يريد التقرب منه حتى لو ظهر له وخُيل لأحدهم اقتراب الناس وتعاطفهم معه فهو على سبيل الشفقة وأظن أن أي شخص محترم يرفض ذلك فمن يكون أمامه أن يحبه الناس لنجاحه أو أن يشفقوا عليه لفشله ويختار الفشل؛ فهو شخص غير محترم ومنزوع الكرامة، ولعل ما جعل الناس يؤمنون بهذا الاعتقاد الخطأ هو التلفاز. أتتذكر أثر التلفاز على سلوك الفرد؟ كثيرا ما يجعل البطل حزين والناس يحبونه بسبب كثرة المشاكل الواقع فيها والتي يرتكبها والذي ترغب به الفتيات بسبب كثرة مغامراته.

***

التفكير بالعقلية البدائية

إأن التفكير بعقلية الإنسان البدائي الذي يميل إلى التنازع في القرن الواحد والعشرين كارثة بكل المقاييس، ولكي نكون صادقين مع أنفسنا فالنزاع والتكالب صفة بشرية، فالإنسان متوحش بالطبع ومن الخطأ حصر التوحش على سكان الصحراء، و أنا اتفق مع من يقول أن سكان الصحراء غالبا ما يمتازون بالتوحش والغلظة عن غيرهم ولكني أختلف مع من يحصر ذلك على سكان الصحراء فكل منا داخله بدوي صغير، ويكبر هذا البدوي عند توفر الظروف القاسية فالإنسان بطبعه يميل إلى النزاع حتى أنه يتعاون بغرض التقوِّي ليكون خصما قويا أثناء النزاع، وهذا يذكرني بنظرية طرحتها على أحد الأساتذة وهي أن الإنسان حيوان إلا أنه يختلف عن باقي الحيوانات بالعقل وبرغم ذلك فهو لا يستطيع استخدام عقله بصورة كاملة وهو يختلف عن باقي الحيوانات بقدرة لسانه على نطق العديد من الكلمات إلا أن لسانه يعجز عن نطق حرف واحد. وهذه هي النظرية، أن الإنسان لا يستطيع نطق حرف واحد وبإمكانك أن تجرب بنفسك وستري أن نطقك مثلا للحرف (أ) يتكون من ثلاث حروف (ألف) بينما الحرف مجرد رمز لما نطقت وهذه نظرية قد تكون صحيحة وقد تكون غير صحيحة ولكنى أحببت أن أعلمها للقارئ.

إن من أشد الأشياء بعد البيئة أثرا على نمو نزعات النزاع لدى الإنسان هو حبه الشديد لنفسه فهو يري نفسه أحق من غيره لذلك يتكالب على الأشياء التي يرغب بها والتي لا يرغب بها لمجرد أنه يرى غيره يريدها، فمثلا طالب الثانوية يكون هدفه الحصول على درجة تجاوز مجموع الكلية التي يرغب بالالتحاق بها بهدف أن يحصل على المركز الأول، وإن كان هذا المثال حسن إلا أن فيه تكالب، لأن هدفه هو الحصول على المركز الأول حتى يشعر بأنه أفضل من غيره، فلو خُيِّر بين أن يحصل على مجموع ضعيف ويحصل زملائه على مجموع أقل منه أو أن يحصل على مجموع مرتفع وغيره أعلى منه لوافق على الاختيار الأول.

إن البدوية تتناسب عكسيا مع الأشخاص الذين يتميزون بالخجل فكلما زاد الخجل كلما قل التوحش والغلظة لدى الفرد.

ولكي نتخلص من هذه الصفة البذيئة علينا إحداث طفرة داخلية من خلال الإيحاءات الداخلية فهل أنت مستعد للتغير؟

الإيحاء

كنا قد تحدثنا عن الإيحاءات وأنها تتغلغل وتترسخ في العقل الباطن وأن المجتمع يغرس الأفكار عن طريق الإيحاء في العقل الباطن ومن ثم يتأثر الإنسان من حيث لا يشعر، وقبل أن نتكلم عن الإيحاء الذي يرسله أو يستقبله العقل يجب علينا أن نعلم أن العقل ينقسم إلى قسمين كرويين: النصف الأيمن يعي ما يحدث الآن وهو منطقي ومحلل والنصف الأيسر تابع له وهو مركز العواطف والانفعال ومخزن للذاكرة

سؤال: هل كل واحد منا لديه عقل واعي وعقل لا واعي؟

الإجابة نعم أنت لك عقل واعي وعقل لا واعي. فأنت عندما تذهب إلى مكان يكون هذا نتاج وعي منك وأمر من عقلك لجسدك أن يتحرك وهذا هو العقل الواعي، أما الأشياء التي تحدث داخلك دون أوامر منك فإنها تحدث بناء على أوامر العقل اللاواعي، فأنت لا تأمر قلبك كل ثانية أن يضخ الدم داخل جسدك والمقصد أن لعقلك وظيفتين، لا أنك بعقلين، فالإنسان له عقل واحد.

وهناك علاقة وثيقة بين العقل الواعي والعقل اللاواعي، فالعقل الواعي بمثابة بوابة تسمح أو لا تسمح لدخول أي فكرة إلى العقل اللاواعي.

وقد يسأل أحد القراء ما الداعي إلى الحديث عن العقل الباطن ونحن نتحدث عن تغير إطار الفكر؟

الإجابة: إن العلاقة وثيقة للغاية بل يكاد أن يكون هذا هو لب الموضوع فقد تكلمنا سابقا عن مراجع تفكير الإنسان التي يستند إليها في تصرفاته من خلال الإيحاء، فكل التأثيرات التي تطرأ على الإنسان سببها الإيحاء فما معنى الإيحاء؟؟

الإيحاء هو مصطلح أطلقه علماء علم النفس على الطريقة التي تجتاز الفكرة من العقل الظاهر إلى العقل الباطن.

وأهمية الإيحاء وخطورته تكمن في أنه التأثير الفعلي على الفرد. والإيحاء نوعان:

1- خارجي: وهو الذي يكون من العوامل التي ذكرنها سابقا وهي: (الأسرة_التلفاز_الأصدقاء_المدرسة_الظروف_الدين)

ولا يستطيع الإيحاء الخارجي أن يؤثر على الفرد الأبعد أن يتحول إلى إيحاء داخلي وقد صدق من قال: الإنسان كما يكون. فبالفعل الإنسان كما يفكر هكذا يكون والأفكار تكون إيحاءات ثم تتحول إلى حقائق.

ومن أخطر الإيحاءات الخارجية، إيحاء الأسرة للطفل وإيحاء الإعلان للكبار وكما ذكرت سابقا أنه لا شك في أن الإيحاءات الصادرة من الأسرة يمتد أثرها فالأفكار التي تُغرس في عقل الطفل تفرض سيطرتها وهيمنتها على العقل الواعي واللاواعي في آن واحد. ويعتبر الإيحاء بالكلام هو أخطر أنواع الإيحاء، كما أن صيغة الكلام تحدد نوعية الإيحاء الذي سيصل للفرد فإذا قالت أم لابنها الذي أخطأ: لا تخاف تعالَ ولن أضربك

فتكون ردت الفعل انه لا يأتي وهذا يكون بسبب صيغة الإيحاء الذي أُلقي عليه، فعندما قالت له لا تخاف بثت فيه الخوف لأن العقل اللاواعي لايميز فعندما سمع لا تخف.. خاف. وعندما قالت لن أضربك قام بتخيل فعل الضرب والصحيح أن تقول: "تعالَ فقد سامحتك. "

إن الإيحاء خطير لدرجة أنه قد يكون سبب مرضك وسبب شفائك في نفس الوقت

يقول النبي محمد (ص): (لا تمارضوا فتمرضوا) وهذه الكلمات القليلة عبرت عن خطورة وأهمية الإيحاء، فإنك إذا تخيلت أمرا ما فإنه يحدث لك حتى أن سبب الشفاء يكون بسبب الإيحاء الداخلي الواثق في أن هذا الدواء سيستطيع شفاء الجسد قبل أن يكون في مدى فاعلية الدواء. فالفكرة التي يسمح بمرورها العقل الواعي تؤثر على العقل الباطن فيؤثر العقل الباطن على جسد

أو تصرفات الإنسان فما إن يغضب الإنسان حتى تظهر علامات الغضب على وجهه، والعقل الباطن يتأثر بسهولة فهو يعتبر كل ما يقال حقيقة وهناك موقف طريف حكاه لي أحد أصدقائي يقول صديقي أنه في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل كان نائما في سريره، يقول فما كان مني إلا أن انتفضت وقمت أفكر في بناء إمبراطورية، وأخذت أعض على أصابعي. فلما قصّ عليَّ ذلك قلت له إنك قد قلدت نابليون بعد هزيمته، وهذا نابع من شعور داخلي بالهزيمة قبل أن تصطنع هذا الإيحاء ولا زال صاحبنا يحلم ببناء إمبراطوريته وهذا الاستعمال لا أدعو إليه، وإنما أدعو إلى استخدام الإيحاء للقضاء على الأفكار السلبية المتغلغلة داخل العقل الباطن، فالإيحاء المضر لا يذهب إلا بإيحاء نافع وقانون **كويه** للجهد النفسي يقول:

(إذا سيطرت فكرة على شخص بحيث تكون متغلغلة في أغوار عقله الباطن فإن كل الجهود الواعية التي يبذلها ذلك الشخص في مخالفة تلك الفكرة تؤدى إلى عكس النتيجة التي يبتغيها منها)، فإذا تغلغلت فكرة الكسل أو الفشل إلى عقلك مثلا وحاولت فعل شيءإيجابي بعدها دون إلغاء الفكرة الأولى فإن محاولتك ستبوء بالفشل.

إن الإيحاء له وجهين، وجه إيجابي وآخر سلبي. وبإمكاننا اتخاذ الجانب الإيجابي والابتعاد عن الجانب السلبي.

وتذكر عزيز القارئ أن الجانب السلبي أو الإيجابي لا يؤثران فيك إلا بعد موافقتك على ذلك.

قال أحد الأفاضل راقب أفكارك لأنها ستصير أفعالك وراقب أفعالك لأنها ستكون سلوكياتك وراقب سلوكياتك لأنها ستصير طباعك، فالأفكار التي في عقلك اليوم ستصير غدك. وأنت تستطيع بتر أو زرع أي فكرة من خلال الإيحاء. يروي أن شعبًا مرض بالجنون بسبب الإيحاء والتوهم، وآخر شفي بسبب الإيحاء.

إن الإيحاء الإيجابي هو خير مفتاح لمغاليق العقل الباطن.

وبالأفكار الإيجابية ستنال ثمار الإيحاء، فبإمكانك أن تغير أفكارك وتحدث برمجتك من خلال الإيحاء عزيزي القارئ بعدما علمت أن أغلب الأفكار التي أنت تعمل بناء عليها هي أفكار غيرك لا أفكارك و أن أفعالك هي عبارة عن الأفكار التي تدور داخل رأسك وأنك يمكنك بتر كل ما هو سلبي من خلال الإيحاء وبإمكانك أن تزرع كل صفة إيجابية من خلال الإيحاء.

أما آن الوقت يا صديقي أن تكون أنت وأن تتطور من نفسك؟

وقبل أن تشرع في قراءة رواية كتابي سأنصحك نصيحة تذكرها عندما تقف أو تسير في طريق الحياة:

كن أنت الشخص الذي تريده

هذا وبالله التوفيق وإني لك لمن الناصحين

للتواصل معنا عبر فيس بوك عبر الميل الرسمي

https://www.facebook.com/mahmoud.mehanny.9

وللإعجاب **بصفحة الكاتب**

https://www.facebook.com/Mahmoud.Abdul.Sattar10/?ref=bookmarks

رواية

معالجة مجتمع

(يُنسي الأحلى الحلو هكذا ستنسي أسماء الكتب)

المقدمة

لأول مره تجتمع رواية مع كتاب أدبي ولقد ابتكرت فكرة المزج بين الكتاب الأدبي والرواية لأجمع بين ما هو نظري وما هو عملي وأدعو جميع الكتبة لاتباع هذا الفن المستحدث لكي يحصل القارئ على الإفادة كاملة.

عزيزي القارئ أنا واقعي لم أهدي إليك كتابي لأنك اشتريته والإهداء لا يُشترى جمعت بين النظري والعملي فبعد أن قرأت كتاب معالجة مجتمع نظريا سأجسد لك ما قرأت في رواية وهذه هو ما عليه بعد قرأتك للكتاب هو أن أجسد لك ما قرأت.

أما مابعد الرواية فعليك أنت لا على وهو أن تجاهد نفسك بالابتعاد عن كل ما هو سلبي والاقتراب من كل ما هو إيجابي.

فهل أنت مستعد؟

لنبدأ يا صديقي

الرواية

سأحكي لكم كل ما مررت به سأختصر لكم السنين في ساعات وربما في دقائق ولكن ابقوا صامتين وانسوا كل ما عرفتموه عني واسمعوا ما سأقول وكأنكم لا تعرفوني.

اسمي حسين و قد سماني أبي بهذا الاسم لحبه للحسين سيد شباب أهل الجنة

سأعرفكم بعائلتي:

أبي اسمه علي، ولعل هذا سبب تسميته لي بالحسين ليكون اسمي مطابقا لاسم الحسين بن علي ولقد سمي جدي أبي بهذا الاسم لحبه للإمام علي. كان أبي رجل أعمال كبير ولا توجد دولة خالية من مشاريعه، وبرغم الثراء الذي نعيش فيه إلا أننا غير سعداء بسبب كثرة الخلافات داخل بيتنا.

أمي اسمها مريم وهي متدينة جدا لدرجة أنها تدرج الدين في كل شيء حتى لو كان لا يصح إدراجه، أتذكر أنها في يوم من الأيام وهي تحكي لي إحدى القصص الدينية كعادتها وكانت قصة أبرهة الحبشي بدأت أمي بحكاية القصة فقالت حاول أبرهة الحبشي هدم الكعبة المشرفة فجهز جيش كبير من الفيلة وذهب إلى مكة متجها نحو الكعبة، فقلت لها: أمي

لماذا أخذا أبرهة الفيلة؟ فردت أمي قائلة لهدم الكعبة.

قلت لها: أمي الفيل ضخم جدا أنا أشاهده في التلفاز وهو بالفعل ضخم، إنه أضخم من الإنسان بكثير.

ردت أمي قائلة: لا تقل ذلك استغفر الله

قلت لها: ولماذا لا أقول ذلك أليس الفيل أضخم حجما من الإنسان

ردت أمي قائلة بالطبع لا فقد قال تعالى: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) وقال أيضا (ولقد كرمنا بني آدم) فلا يصح أن نقول أن هناك شيء أضخم ولا أكبر من الإنسان. قلت لها: ولكن يا أمي الفيل أكبر حجما من الإنسان، ماذا لو وقف إنسان بجانب فيل أظن الفيل سيكون أكبر منه حجما أخذت أمي تستمع للكلام وهي تنظر إلى نظرات غريبة و أنا أتحدث حتى أنني ظننت حينها أن الإنسان أضخم حجما من الفيل.

قلت لها: وماذا بعد أكملي يا أمي.

قالت: لقد نسيت أين توقفت. قلت لها: إلى أن جهز أبرهة جيش من الفيلة وذهب لهدم الكعبة.

قالت: نعم تذكرت..

حينها يا بني دافع الله عن بيته الحرام فأرسل طيرا تحمل حجارة من جهنم فجعلتهم هباءً منثورا.

قلت لها: أمي كيف تحملت الطيور حجارة من نار؟

فقالت لي: الله خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير ونحن لا نعرف صورة الطير الذي أرسل والله قادر على خلق طير يستطيع تحمل حرارة هذه الحجارة

فقلت لها: عندي سؤال!

قالت: تفضل يا بني ..

ترددت أنا حينها عن طرح السؤال وقلت: لا داعي لطرح السؤال.

قالت أمي برفق: يا بني اسأل لكي تتعلم..

شعرت حينها بسعادة وفرح شديد و ألقيت عليها السؤال بسرعة خاطفة وقلت لها: أمي، أنا أحب الله و أريد أن أعرف من خلقه؟

كانت إجابة أمي على السؤال أنها قامت بكل هدوء من مكانها وذهبت إلى المطبخ ووضعت الملعقة على الشعلة ثم جاءت بها لتكويني، وكادت أن تفعل ذلك لولا تدخل الجيران بعد سماعهم صوت استغاثتي.

فهذه ليست أول ليلة أفزع فيها، فأمي دائما ما تحكي لي عن عذاب القبر وعلامات الساعة حتى أنني كنت كل يوم عندما أذهب إلى السرير للنوم، أوصل الغطاء إلى فوق رأسي حتى إذا ظهر المسيح الدجال لا يستطيع رؤيتي فيذهب دون أن يشقني بالمنشار أو يعذبني لأني مؤمن بالله.

***

لي أخ وأخت.

أعرفكم بأخي محمد:

ولقد سماه أبي بمحمد ليكون على اسم النبي محمد وهو أخي الأكبر.

لقد كان محمد يرهقني ويخنقني بطلباته التي لا تنتهي وهذا ليس كرها مني له وليس حبا للراحة، وإنما لأنه لا يحترم وقتي ويشعرني بأني خادم أو عبد عنده. أتذكر أنني ذات مرة كنت بالحمام أغتسل فسمعت صوته ينادي ويقول يا حسين.. تعالَ أريدك في أمر. قلت له: انتظر قليلا. قال لي: تعالَ بسرعة. أمسكت المنشفة وللفتها حولى حتى أستر عورتي وذهبت إليه وكان مستلقي على فراشه فقلت له ماذا تريد؟. قال أغلق باب الغرفة. كتمت غيظي ونفذت ما قال وعدت لأكمل الاغتسال، هذا هو حالي في البيت، فالأخ الصغير غالبا ما يكون مظلوم.

ولي أخت اسمها فاطمة:

وهي أيضا أكبر مني سنًا، فأنا أصغر إخوتي. وقد سمتها أمي بفاطمة لحبها للسيدة فاطمة بنت النبي محمد (ص) وزوجة الإمام علي كرم الله وجهه.

إن فاطمة أختي لا تقل تدينا عن أمي، فهي نسخة طبق الأصل منها. أتذكر أنه في أحد الأيام دار حوار بين أمي وأختي فاطمة عمن صاحب الاسم الأفضل

قالت فاطمة: أنا اسمي على اسم فاطمة بنت النبي الذي قال عنها (ص):

(فاطمة بضع مني)

فردت أمي وقالت: وأنا اسمي على اسم السيدة مريم التي ذكرها الله في كتابه فقال: (فتقبلها ربها بقبول حسن)، ولم تتقبل أحد من النساء قبلها

فردت فاطمة قائلة لقد قال الرسول صلي الله عليه وسلم: (فاطمة روحي ونفسي وفؤادي)، وقال أيضا: (فأما ابنتي فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين). فردت أمي قائلة لقد قال الله في حق مريم: (إن الله اصطفاك وطهرك على نساء العالمين).

فتدخل أخي محمد في الحوار وقال وأنا اسمي محمد على اسم اشرف الخلق والذي قال عن نفسه أنا سيد ولد آدم ولا فخر.

وأنا أظن أن النقاش كان سيستمر لأعوام لولا مقاطعة محمد للحديث هكذا كان حالي في المنزل، أما عن حالي في المدرسة فهو لا يقل بأسا عن حالي فى المنزل سأحكي لكم أهم الأحداث التي مضت عليه في كل مرحلة تعليمية لنبدأ بالمرحلة الابتدائية

***

لأعرّفكم على أصدقائي في المدرسة:

صديقي الأول اسمه على:

وهو أول صديق تعرفت عليه داخل المدرسة وقد كان اختياري لعلي كصديق مخففا للألم فقد كان الجميع مبتعد عني بسبب تدني مستوايَ الدراسي، وكان مكاني في الفصل معروف وهو المقعد الأخير، فالطلبة الغير متفوقين يكون مكانهم في آخر الفصل، وكان زملائي لا يقبلون الجلوس بجانبي خوفا من أن تصيبهم العدوى فيتدنى مستواهم الدراسي. لقد كان تدني مستواي الدراسي أمر طبيعي للغاية، فأبي مشغول بشركاته وأخي لا يسألني عن حالي، هو فقط لا يتحدث معي إلا عندما يريد إصدار الفرمانات، وأختي منشغلة بمذاكرتها، وأمي منشغلة بعبادتها وندواتها الدينية، أما اهتمام أمي بى فيتلخص في أنها تقوم بتجهيز الطعام الذي سآخذه معي في المدرسة.

لقد كنت كثير البكاء لعدم اهتمام أهلي بي وحصولي على درجات منخفضة في الاختبارات الشهرية. كنت أدخل غرفتي وأغلق الباب حتى لايراني أحد وأنا أبكي فيسخر مني، فمن المعروف في مجتمعنا أن الرجال لا يبكون وبعد أن أغلق باب الغرفة أستلقي على السرير وأستمع إلى موسيقى حزينة وأبكي، كانت الخيبة تأتي تلو الخيبة والدمعة تسقط تلو الدمعة والأب لا يزال مشغول والأم لا تزال تلقي المحاضرات والأخ لا يزال يغيظني وزملائي لا يزالون مبتعدين عني لقد كان تقربي من علي مخفف للألم، فعلي كان متفوق دراسيا ولذلك حاولت التقرب منه لعلّي أصبح متفوقًا مثله. في البداية رفض مصادقتي فقال أنا أكثر التلاميذ تفوقا ولا يجوز أن تكون صديقي فمستواك متدني، زاد حزني عندما قال ذلك، ولكن تصميم علي أن أكون متفوق جعلني أعرض عليه أن يأخذ الطعام اللذيذ الذي تعده لي أمي مقابل مصادقتي وكان هذا العرض مرضيا بالنسبة لعلي.

ومرضيًا لي أيضا فأنا لا يهمني أن آكل بقدر ما يهمني ألا يسخر الجميع مني وأكون متفوقا مثلهم. وبعد مصادقتي لعلي تغيرت عدة أمور وكان أول المتغيرات أن تغير مكان المقعد الذي كنت أجلس فيه، وأصبحتُ أجلس في أول مقعد بجانب علي، ولقد تعرفت على أحد أصدقائه وكان اسمه حيدر وبرغم مصادقتي لعلي قبل حيدر إلا أنني كنت أحب حيدر أكثر من علي.

الأستاذ حازم:

ذلك الأستاذ المبجل المحبوب من الجميع وبرغم أنه أستاذي إلا أنه في نفس الوقت صديقي فهو قريب مني لدرجة كبيرة حتى أنني عندما أذهب إلى منزله بغرض الزيارة كان يقول لأهله أعدوا الغداء لصديقي، إنه فعلا محبوب من الجميع سواء من الطلاب أو المدرسين فهو يتكلم مع المدرسين بلهجة صادقة مستقيمة ومع الطلاب الذين كنت واحد منهم بصفة الصديق. لم يكن يكتفي بسؤالنا عن المنهج، بل كان يسألنا عن حياتنا الشخصية أيضا، وكان لي بمثابة الأب الروحي لي، وكنت عنده التلميذ المقرب. لم يكن الأستاذ حازم يعطي دروسًا خصوصية خارج أسوار المدرسة كما يفعل البعض معللًا ذلك بقوله: أنا أشرح لكم بضمير وأبذل معكم قصارى جهدي، فلمَ أعطي دروسًا خارجية؟ أنا لا أريد كنز الأموال نصبا فأنا أشعر بتعب الآباء.

جمال:

أو كما يسمونه جيمي، ذلك الوسيم صاحب الشعر الطويل الذي يمتلك كم لا يمكن وصفه من اللامبالة، ابن منافس أبي في السوق، ولعل المال هو ما أفسد جيمي، أو كما يسمونه محبوب البنات. إن جيمي يعتبر جميع البنات صديقاته، والغريب أنهم أيضا يعتبرونه كذلك، كما أنه يتميز باجتماعيته، فلا يقابل رجلا كان أو امرأة حتى إلا وتحدث معه أو معها، مما يعرضه في كثير

من الأحيان إلى مواقف حرجة، ولكنه لا يبالي ولا يحرج، وإنما المواقف هي ما تسمي نفسها بحرجة.

ومن المواقف الهامة التي لا يمكن أن أنساها أنني تشاجرت في مرة مع أحد زملائنا أثناء تواجدنا في حديقة المدرسة، فما كان منه إلا أن أمسك بحجر من الأرض وألقاه صوبي فأصاب رأسي وسالت الدماء مني. ويومها لم أخبر أحدا من أهلي عن هذا الموقف، فهم ليس عندهم الوقت الكافي لسماع مشاكلي، وحتى لو سمعوا سيضربونني لأنني تشاجرت.

وأتذكر أيضا موقفا آخر وهو أنني كنت أحب فتاة تدعي شيماء وأنا في الصف الرابع الابتدائي، وهذا لا يرجع إلى أعجابي بها وإنما يرجع إلى أن أخي محمد يحب أختها التي هي في سنه، لذلك كان عليّ أن أحبها وأفعل كما يفعل الكبار لأصير كبيرا مثلهم، فأوهمت نفسي بأنني أحبها وتوهم جميع زملائي بنفس الوهم ويمكننا أن نقول أن العدوى في هذه المرة أصابت الفصل بالفعل.

كما أن هناك حدثين مهمين الأول كنت في الصف السادس الابتدائي عندما خاصمت علي بسبب أنه أبى أن يغششني في الامتحانات، والحدث الثاني أنني اجتزت المرحلة الابتدائية ودخلت المرحلة الإعدادية. كان أول يوم لنا في المدرسة الإعدادية يوم لا ينسى، فقد استقبلنا الأساتذة استقبالا مهينا أفقدنا ثقتنا بأنفسنا، كان كل أستاذ يدخل فيلقي نفس الكلمات وهي مرحبا بكم

أنتم الآن في مرحلة جديدة، انسوا كل شيء مضى، انسوا فترة الابتدائية فنحن لا نريد تصرفات الأطفال أن تعاد مرة أخرى، وكان عندما يرتكب أحدنا خطأ يقال له لا تحسب نفسك قد كبرت، أنت مثل الصرصار ويمكنني دهسك بقدمي، لقد كنت في الابتدائية كتكوت يحاول الخروج من بيضة أما ألان فأنت كتكوت خارج البيضة وعلى كل حال أنت لازلت كتكوت، مما جعلنا نشعر أننا ضعفاء وأننا لا نستطيع فعل شيء وليس لنا أية قيمة في هذه الحياة. وكان كل حلمنا أن نكبر حتى لا يستخف بنا غيرنا. ظللنا على هذا الحال حتى أصبحنا في الصف الثالث الإعدادي، انتقلت إلى الصف الثالث وبدأت أعي وأفسر ما يحدث حولي وكانت الصدمات كثيرة، فالواقع يصدم من كان غافلا عنه. وتظل تُصدم حتى تعتبر الصدمات شيء طبيعي فلا تُصدم بعدها أبدا. تركت صديقي حيدر فهو يمدحني عندما يتواجد معي، ويسبني من خلفي ولا تتعجبوا من أنني أقول أنه كان يسبني من خلفي فما أكثر النمامين الذين ينقلون الكلام. وأدركت حينها أنني أصبحت مسئولا عن نفسي وعن مستواي الدراسي فلقد كبرت و بإمكاني أن أذاكر لنفسي، فقررت أن أطور من نفسي وأن استفيد بكل تجربة أمر بها سواء أكانت سعيدة أو مؤلمة وقد ساعدني الأستاذ حازم مدرس الرياضيات في رفع مستويا الدراسي في هذه المادة وقد كان الأستاذ حازم شخصية رائعة، لذا حاولت أن أقلد أسلوبه لأصبح رائعا مثله ولكن هذا لم يكن كافيا، فهناك مواد أخرى أنا ضعيف فيها فقررت أن

أذهب إلى غرفة المدرسين وأخبرهم أنني أريد أن أطور من نفسي وأن يساعدوني على ذلك فلما قلت لهم ذلك ناداني الأستاذ قاسم وكان ممسكًا بسيجارته فنفخ الدخان في وجهي وقال ووجهه عابث من الكآبة:

"نعم لقد فهمتك.. تريد التطوير من نفسك هذا أمر جيد."

لن أخفي عليكم شعوري حينها فقد شعرت أن كلامي كان تافها فقل حماسي ولم يتغير مستواي في باقي المواد فالتغير يحتاج إلى حماسة متزايدة لمواجهة العثرات وجاءت الامتحانات واستطعت الحصول علي مجموع مكنني من دخول الثانوية العامة. لا تتعجبوا من مجاوزتي للامتحانات رغم تدني مستويا الدراسي فكله بفضل الغش لا بفضل المذاكرة، مما جعلني أنا وغير المتعلم سواء. وقد كانت الفرحة تغمر البيت حينها فأنا قد تمكنت من دخول الثانوية وأختي فاطمة حصلت على الشهادة الثانوية وأخي تخرج من كلية التجارةالتي قد أشار عليه أبي لدخولها ولقد نال كل منهم وظيفة. ففاطمة جلست في البيت وقالت لها أمي أن الشهادة الثانوية تكفي فأنت بذلك قد صرتِ متعلمة، وجلوسك في بيتك خيرا من خروجك لأن خروج المرأة فتنة. ساعديني في أعمال المنزل هذا هو عملك من اليوم.

أما محمد فقد ساعد أبي في إدارة الشركات لكي يخفف الحمل عنه بإدارة مشاريعه.

وبالفعل أصبح أخي يدير الأعمال بينما أنا كنت أدرس في الصف الأول الثانوي. وفي الفصل الأول الثانوي أصبحت أنا وأحمد أصدقاء ولكن هذه المرة تختلف عن كل مرة فأحمد هو من بادر بالصداقة، ولقد أحببته كثيرا فهو يسأل عني ويعتبر هو الوحيد الذي يسأل عني، ولعل ذلك يكون سبب حبي له. ولكن السؤال يعني الحاجة.. لم أستطع حينها فهم المصلحة التي يصادقني من أجلها، فنحن البشر لا نتقرب من أحد إلا لمصلحة، حتى من يظن أنه لا يريد من غيره مصلحة هو يريد وبالفعل ينالها ولكنه لا يعلم.

ولكني سلمت حينها إلى أني ذو مكانة كبيرة عنده لذلك يسأل عني دائما، ولكن سرعان ما ظهرت النوايا، فقد أخبر أحد زملائي في الفصل أنه يصادقني من أجل تفوقي في مادة الرياضيات وما إن تمضي الامتحانات حتى يقلل من السؤال عني. في البداية لم أصدق ما قاله لي زياد عن أحمد إلى أن كشفت لي الأيام عن حقيقته، فبالفعل بعد مضي الامتحانات لم يعد يسأل عني ولقد حزنت حينها حزننا شديدا ولكني تذكرت عهدي مع نفسي وقررت أن أستفيد من هذه التجربة المؤلمة فأصبحت أتوقع الخيانة من أي شخص وتعلمت أن أركز في أفعال من حولي.

لن أخبركم عن وضع بيتي فالوضع فيه روتيني للغاية ولم يتغير، أخي لا زال يصدر الفرمانات و أمي لازالت علي سجادة الصلاة و أختي لا زالت تتناقش

معها في الدين و أبي لا زال منشغل عني ولو سألته في أي صف أدرس أظن أنه لن يستطيع الإجابة لأنه لا يعلم بأنني سألتحق بالصف الثاني الثانوي.

وقد استقبلنا الأساتذة استقبالا مختلفا تماما عن الاستقبال الذي استقبلوه لنا عندما التحقنا بالصف الأول الإعدادي، فقالوا أنتم اليوم أكبر طلاب المدرسة، فطلاب الصف الثالث الثانوي لا يحضرون، لذلك أنتم أكبر طلاب المدرسة ولا شك في أنكم تمرون بمرحلة المراهقة ولا شك في أن كل واحد منكم له صديقة أو حبيبة ولا شك في أنكم تتغزلون في البنات في الشوارع وقد تغيرت ملامحكم وأبدانكم وكل هذا طبيعي. لقد كان هذا الكلام بمثابة إيحاء قوي فأصبحت أتغزل في البنات كلما نزلتُ إلى الشارع وتوهمت بأنني أحب إحدى زميلاتي في الفصل، ولما أخبرتها بذلك رحبت - دلال - تلك الجميلة التي زاد وجهها الجميل جسدها فتنة، ورحبت بحبي لها فقد أصابها ما أصابني. لقد تلقت نفس الإيحاء أنها تريد أن تشعر بأنها أنثي يرغب فيها الرجال ولم تعد صغيرة حتى أنها كانت تخبر صديقاتها بكل ما يحدث بيننا وكان هذا سبب افتراقنا فيما بعد. ولقد عرفت ذلك من صديقي جمال الذي قد نسي الجميع اسمه فهم ينادونه دائما بجيمي.. إن جيمي شخصية غريبة جدا فهو يعيش حياة من نوع خاص، وجميع زميلاتي في الفصل صديقاته، ولما أخبرني عن صنيع دلال صرنا أصدقاء. كان جيمي دائما ما يحثني على شرب السجائر

ولكني كنت أرفض، فأخلاقي وتربيتي تجعلني لا أقبل بذلك، ولقد سألت جيمي عند أول مرة عرض عليا فيها شرب السجائر: من الذي جعلك تشرب سجائر؟

فقال بكل بساطة: أبي

قلت له: ما الذي تقوله؟

قال كما سمعت، إن أبي أب عصري ومتحضر قال لي اشرب هذه السيجار أمامي أفضل من أن تقلد الشباب وتخفي عني سجائرك وتدخنها في الخلاء، فعلمت حينها أن للأبوين عامل كبير في تكوين شخصية ابنهم. فتدين أختي كان بسبب تدين أمي ولولا أن أبي صاحب شركات ما درس أخي في كلية التجارة.

كان جيمي يحكي لي دائما عن مغامراته وكان يجعلني لا أنتبه لشرح المدرسين بكثرة كلامه، وفي مرة وبينما أنا مندمج معه في الحديث، وكان حينها قد ضرب الجرس ليعلن انتهاء الحصة، دخل الأستاذ شهاب، ومن المعلوم عندنا انه إذا دخل مدرس الفصل وجب على التلاميذ أن يقفوا احتراما له، ولكني حينها كنت مندمج في الحديث مع جيمي فلم أنتبه لتواجد الأستاذ فأمر الأستاذ جميع زملائي بالجلوس وأمرني أنا وجيمي بالوقوف وقام بسبنا كان

موقف جيمي أنه ابتسم فزاد ذلك من غضب الأستاذ شهاب فتحول من السب لنا إلى السب لأهلنا. فقلت له يا أستاذ شهاب لا تسب أهلي فأنت لا تعرفهم حتى تسبهم وأنا لم أقصد التقليل من شأنك بل كنت غافلا عند دخولك، فزاد غضبه و لطمني علي خدي، حاول زملائي تهدئة الموقف وسمع المدير الصوت المرتفع فجاء بسرعة وقال ما الذي حدث قلت له دخل الأستاذ.... فقاطعني وقال: لا تكمل... أخرس.. فأنا أتكلم مع الأستاذ.

قلت له: لقد سبني. قال لي: ألم تتعلم في المدرسة أن من علمك حرفا تصير له عبدا؟ لا شك في أنك فاشل في الدرس. أخبرني من فضلك يا أستاذ عن مستوى هذا الطالب. قال له: مستواه ضعيف. قال لي: ألا يكفيك ضعف مستواك بل وتتطاول على مدرسك أيضا؟.. أنت غير محترم.

كل هذا وجيمي لا تزال على وجهه تلك الابتسامة اللعينة، وكأننا حصلنا على جائزة الدولة ليبتسم، تبا له. قام المدير بفصلنا أسبوعًا من المدرسة بدءًا من اليوم. "هيا أجمعوا كتبكم واخرجوا فورا".. هكذا قال المدير.

جمعت كتبي وأنا حزين ومستاء جدا، فأنا الآن أشعر باضطهاد من المنزل والمدرسة وكان كل ما يشغل بالي ماذا سأقول لهم في البيت؟ لا شك أنهم سيلاحظون غيابي عن المدرسة. ماذا أفعل؟

كل هذه الأسئلة التي لم أجد لها إجابة دارت في خاطري حينها، أما جيمي فأخذ يضحك ونحن نسير في الطريق وقال: هذه فرصة رائعة لقضاء عطلة جيدة. سوف أتنزه طوال هذه المدة. شكرا لهم.. كانت مقولة جيمي حلا لكل ما خطر في بالي، فكنت كل يوم أخرج وفي يدي الكتب ولكني لا أذهب إلى المدرسة، بل كنت أتجول داخل المدينة وأتمشى في شوارع بغداد وأتنزه في حدائقها أنا وجيمي. وحينها عرض علي جيمي السجائر كالعادة فقلت له: ألا تعلم أني لا أدخن؟. فقال: أنت ستعكر فرحتنا.. دعنا نفرح. امسك.. إنها مجرد سيجارة تبغ، وليست أفيونة. لا تكن جبانا.. إن طيبتك الزائدة هي سر خيبتك، فأنت تخاف من كل شيء. حينها وبدون تردد أمسكت بالسيجارة وبدأت في التدخين، ولما مضى الأسبوع ذهبت إلى المدرسة، ولكن هذه المرة كانت مختلفة، فقد صرت مدخنا.. ولكن لم يفرق ذلك شيء فقد جاوزت الامتحانات كالعادة بفضل الغش وأصبحت في الصف الثالث الثانوي وكان هناك سؤال دائما ما يُطرح عليّ في هذه الفترة وهو ماذا تريد أن تكون؟ كنت دائما أقول أريد أن أكون ضابطا في الجيش العراقي لأعيد مجد الجيش وأسحق داعش. أخذت عهد مع نفسي أن أهتم بدراستي في هذه السنة فهي سنة تحديد المصير، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان.. لقد وقعت في الحب ولكن هذه المرة حب حقيقي، وبدلا من أن أسهر الليالي في الاجتهاد والمذاكرة أصبحت أسهر الليالي لأكتب الشعر ورسائل الحب.

إنها إيمان.. اسم على مُسمَّى.. ترتدي الحجاب ودائما ما أجدها تقرأ القرآن.

- حبيبتي أنتِ حلم أتمنى تحقيقيه لنعيش معا، لنكن معا لنموت معا.
- حبيبي أنت أول حب لي، فلا تكن مثل الشباب الذين يخدعون البنات.
- حبيتي أنا أحبك ومستعد أن أضحي بحياتي من أجلك.
- حبيبي أنا أدرك هذا جيدا وأنا أيضا لن أقبل بغيرك زوجا لي.

هكذا كانت الرسائل التي نرسلها لبعضنا على الهاتف المحمول، ولقد صدق نزار قباني عندما قال: من السهل جدا أن يضحي الشاب من أجل فتاة ولكن من الصعب أن تجد فتاة تستحق.. لاتحزن إن خانتك فتاة، فهي كالطير يشرب من كل قناة.. إنها بالفعل تشرب من كل قناة.. إنها تمارس العهر تحت الحجاب.

أن إيمان لم تنل من اسمها شيء، إنها لم تقرأ من القرآن غير "إن كيدكن عظيم" ولم تطبق من الأحاديث سوى صفات المنافقين الملعونين، إنها النفاق بعينه.. إنها مخادعة، لم تحبني مقدار أنملة حتى رغم أنها مرارا أقسمت بالله على ذلك، على أنها تحبني.. ولكن القسم كان عندها هين، فهي ليست الفتاة الوحيدة التي تحلف بالله كذبا، ولست أنا أول شاب تحلف له أنها تحبه، فهناك من هم قبلي ومن هم معي ومن هم بعدي، إنها ساحة للعهر.

إن جميع النساء فاسدات.. لقد أصابت قلبي بوجعٍ لم أذقه من قبل، لقد كنت حينها مثل المدمن الذي حُرم من هيروينه، إنها فيروس أصاب فؤادي وانتشر فيه فأصابه باللعنة.

لقد كنت لا أشعر بقلبي حينها وكأن قلبي قد أُنتشل مني، لقد كان هذا الألم أسوأ من ألم رصاصة.. فالرصاصة تحدث ثقب في القلب أما هي فجعلتني أشعر بأن صدري يخلو من قلبي. لقد كنت أفكر في الذهاب لمستشفى القلب لولا أنني أعلم أن هذا ليس مرضًا، إنها دمرت قلبي فأصبح مكانه فارغًا، إن قلبي قد سقط مني. كنت أعاني من وجع هذا الفراغ، لقد تحول الصراخ الداخلي إلى صراخ خارجي فكان البيت يستيقظ كل يوم على صريخي اللإرادي، فقد جرح قلبي جرحًا أعمق من البئر.. لن أطيل عليكم فلن تشعروا بألمي مهما حاولت الوصف، فمن يتألم هو وحده من يشعر بالألم.

بات كيانى كالمنزل المتصدع الذي أوشك على الإنهيار، لقد رأيتها تقبِّل أحدهم بأم عيني، ذهبت إلى المنزل مسرعا حتى لا أرتكب جريمة، وما مضى على ذلك الحدث ثلاث أيام حتى كانت الصاعقة، لقد قتل الدواعش أبي.. يبدو أن الحياة هي الألم والألم هو الحياة. ليس هناك شيء جديد في العادة، في هذه الحياة سوى تغير أسباب الألم. لقد شعرت حينها أن الغشاوة قد أُزيلت من على عيني، أصبحت أنظر للدنيا بشكل مختلف ولكن في هذه المرة على حقيقتها..

نعم هذه هي الحياة حزن هنا وفرح هناك

اكتئاب هنا وسعادة هناك

شقاء هنا وراحة هناك

جنازات هنا ومراقص وحفلات هناك

عذاب هنا ونعيم هناك

عرس هنا وميتم هناك

مرض هنا وشفاء هناك

هذا يعاني هم الامتحانات

وهذا يعاني هم اتساخ البنطال

وهذا يعاني من وفاة أبيه

وهذا يتألم من قتل أبيه

وهذا يعاني من قصف وطنه وموت أسرته بأكملها..

هذه هي الحياة.. الحياة ليست عادلة.. الحياة قذرة وكل من يقول ليس هناك من يموت من الجوع فليذهب إلى الصومال ويأكل. من يحب تسلق الجبال والسقوط من أعلى تعالي إلى سوريا لترى سقوط الصواريخ والبراميل المتفجرة من أعلى، نعم هذه هي الحياة.. قتل وسفك.. هناك موت وضحايا وجياع.

في النهاية تشتكي الناس من الناس ويبكي العالم من العالم

وطني أين أنت يا وطني.. لقد ضاع الوطن واغتصبه عدو، وفرط فيه خونة وقُتل أبى، وبت وحيدا.. يالله لقد نال الشيب من قلبي قبل شعري وأنا مازلت فتيا، يا إلهي.. لمَ يحدث كل هذا لي؟ لم دُمرت حياتى وحُرمت من أبي وانفطر قلبى من خيانة من أحببتها بصدق وانقهرت روحي على وطنى الحبيب؟ ترى ماذا جنيت يارب لأنال كل هذه الآلالم والأوجاع!!

سمعتني أمي وقالت كيف تجرأت على نطق هذه الكلمات؟؟

ألم يحثنا النبي محمد (ص) على الصبر على البلاء؟؟ فالله يعطي بعد العسر ميسرة.. لم تعجبني كلمات أمي وقلت لها بغضب اتركيني وشأني.. اتركيني أحزن علي أبي.. حتى الحزن عندكم ممنوع؟؟

ألا يكفيك تركك لي وأنا صغير؟؟

دمعت عين أمي وقالت لا تكن ضعيف الإيمان يا بني، لقد حرصت على أن تكون ذا خلق، والله الحكم العدل سيحكم بيننا يوم القيامة.

لم يكن أمامي من حلٍ سوى الهروب.

الهروب من نفسي ومن أمي، ومن الجميع.. سرت منطويًا منغلقًا على ذاتي التى كُبِّلت بأصفاد منعتني من الحياة التى لطالما تمنيتُها.

بِتُ وحيدًا لايرافقني سوى الأمراض النفسية والتي من شأنها صادقت الأمراض البدنية كالقرحة والقولون العصبي، كنت أسير وحيدا ولا أشعر بما حولي.. لا أرى العمار ولا أستشعر حركة من حولي. لقد فهمت حينها معنى كلمة وحدة. فكنت أسير ولا أشعر بتواجد الناس، وكأنني أسير في كوكب غير صالح للحياة ولم أكن صائبًا في إحساسي، فقد كنت أسير في كوكب يتقاتل فيه أهله. لم أكن أرى أي شيء رغم أن عينّي كانتا جاحظتين.. أين أنا؟

لا أعرف أين أنا.. أنا الآن تائه.. تائهٌ حقا، لا أعرف شيء.. هل أنا في حلم؟ لا شك أنني الان أحلم.. لا.. أنا لست في حلم، فمن يحلم لا يقول أنه في حلم لاريب أن اليوم هو يوم القيامة، وهذه صورة قرأت صحف الأعمال. أنا فقط أرى أحداثًا قد مضت وبعد قليل سأدخل الجنة برحمة الله..

حينها كنت موشكًا على الجنون، كنت ساعتها أتمتم بكلمات الأيمان وكلمات الكفر، فهذه الصدمات كانت كبيرة على ابن الثامنة عشر عاما.

يا الله أمن الثامنة عشر إلى الخامسة والستين؟؟

إنني اشعر وكأنني أصبحتُ كهلًا.. لقد عصفت بي الحياة كما تعصف الرياح برمال الصحراء، ونزعت قلبي كما تنزع العاصفة الأشجار.

بدأت أنتبه لما يحدث حولي، فلقد ضللت الطريق بسبب أنني أسير دون تركيز، وضعت يدي اليسرى على رأسي وأخذت أعض على يدي اليمنى لعلي أستفيق من هذا الألم. إنه ألمٌ حادٌ في الرأس، في منطقة العين الثالثة وبالتحديد ما بين الحاجبين. أشعر بسخونة في تلك المنطقة، ولعل السخونة سببها هذا الألم ولعل الألم سببه تلك السخونة. كانت عيناي تؤلمني وكنت أريد البكاء ولكن لا أستطيع.. تلك الدموع الحارة الساكنة لا يمكنني وصفها. سمعت صوت المساجد وهي تؤذن، و صوت الكنائس وأجراسها تدق، والصبي وهو يصيح وصوت طلقات الرصاص التي لا أعرف أين مكانها..

يااااااالله أغثني..

من لي غيرك يا الله..!!

إلى أين اذهب إليك؟

أين أجدك؟؟ في الكنيسة أم في المعبد أم في المسجد؟؟

لا لن أذهب إلى كل هؤلاء، فأنت من بليتني بكل هذا.. أنا من اليوم متمرد ولست مؤمنا. وبدأ الطفل الذي يسأل على كل شئ يعود من جديد.

لقد كانت ردة الفعل حينها طبيعية لإنسان لم يتلقَ أي إجابات على أسئلته، لإنسان لم يجد أحدا يرشده. إن الإلحاد أمر طبيعي لمن يرى من يقتل الرجال ويرمل النساء ويتيم الأطفال باسم الدين والله والدين منهم براء.

حينها عاهدت نفسي أن لا أقول على أي شيء ابتلاء.. فكل شيء له أسباب.

وسألت رجلا من أهل القرية كيف أذهب إلى بغداد فقال لي قف علي ناصية هذا الشارع وستجد عربات ودراجات بخارية تمر، أشر إليهم وقل لهم اسم مدينتك فقد يكون هناك من هو ذاهب إليها.. ووقفت حينها كثيرا ليس لعدم وجود دراجات أو عربات وإنما لأنني لم أستطع أن أتفوه بكلمة. فالحزن يسري في وريدى كما يسري الدم. أشعر أن قلبي أصبح يضخ حزنا لا دما. فجأة وقف شخص ما بجانبي، شكله يشبه اللصوص، قلت لنفسي ما الذي يريده هذا اللص؟. رأيته يشير إلى العربات ويقول: بغداد؟؟

لم يقف أحد له، فالليل الحالك يسود المكان، ولم يعد هناك أمان، وهذا الرجل بصراحة شكله مريب. قررت أن أغادر المكان بسرعة، فأنا تركت كل شيءحتى أنني لم أحضر جنازة أبي، ولا شك أن الحزن زائد الان في البيت. ناديت على أول دراجة بخارية مرت من أمامي وقلت لصاحبها: بغداد؟ فوقف فناديت على الشخص الذي كان واقفا بجانبي وقلت له: أتريد الذهاب إلى بغداد؟ قال: نعم قلت له: هيا تعالى فنحن ذاهبون إلى هناك.

ركبنا الدراجة وانطلق السائق فقال لي صاحب الدراجة: ما اسمك؟

قلت: وأنا أكتم قهري حسين. كان تصرفًا جميلًا عندما أجبته رغم أنني لا أستطيع الكلام من شدة ألمي لأنه لا يعرف ما يحدث لي.

سألني: من أي عائلة أنت؟ فأجبته: من عائلة العطار

قال ومن أي البلاد أنت؟ قلت من بغداد

قال وماذا كنت تفعل في قرية الصالحية؟

اشتعل غضبي وقلت له هل أنا في تحقيق الآن؟ من فضلك إذا أردت إيصالي أكمل بدون كلام وإن لم ترد أنزلني هنا. لقد كان سر غضبي حينها أنه يسأل عن كل شيء.. وكأنه صديقي منذ الطفولة، ومن المفترض أن أتحمل تطفله

رغم حزني الشديد، لا تحسبه فاعل خير يريد سؤالي لأني حزين، لا تكونوا سطحيين فهذا إنسان متطفل يسأل عن كل صغيرة وكبيرة وهو لا يعلم إن كنت في حالة تسمح لي بالكلام أم لا، وأنا في الحقيقة أكره المتطفلين.

كان صاحب الدراجة يريد إنزالي لولا تدخل الرجل الذي ناديت عليه ولما وصلت بغداد وجدت هاتفي قد سرق. إن جزاء الإحسان هو الإساءة، يبدو أن جيمي كان محقًا عندما قال أن مشكلتي هي طيبتي الزائدة. يا إلهي.. إن الحصاد من جنس ما زرع ولقد فعلت أمرًا حسنا فلماذا يقابل بالإساءة؟

أين الرحمة؟؟ إن الرحمة اسم مضحك.. لن أرحم أحدًا، فالشرفاء لن يقبلون العيش على ظهر هذا الكوكب.

اللعنة على البشر جاهليهم ومثقفيهم، فالجاهل حثالة لا يستحق الحياة والمثقف ما هو إلا إنسان تافه يحاول التحذلق ببعض الكلمات، وكل واحد يحاول استعرض أفكاره ليبهر غيره وليتها أفكاره، إنه يتفلسف بأفكار غيره.

لا شك في أن هذا الكوكب هو كوكب الملاعين، لقد لعنه الإله فأصيب بالأوجاع والحسرات لقد لعن الإله الكافرين فأصابت اللعنة جميع البشر كافرهم ومؤمنهم، فالمؤمنين قد كفروا بنعمة الله. إن البشر ظالمون يقبلون لأنفسهم ما يرفضوه لغيرهم. إنهم يقولون على الحيوانات أنها مفترسة لأنها

آكلة لحوم، بينما هم آكلو لحومٍ أيضا. يذبحون الدواجن والمواشي والبهائم ليتغذوا عليها، ولا فرق بينهم سوي في العقل. ولعل الفرق كان لصالح الحيوانات. وفي هذه اللحظة ظللت أتذكر ما حدث لي وأحاول تفسيره فكل شيء له أسباب، فلو أنني كنت صاحب هيبة ما ذمني "علي" في غيبتي ولو لم ألعب دور الضحية ما مارس أخي عليّ دور الجاني، ولا وقعتُ ضحية لكسله.

ولو كنت أستطيع تحليل شخصية من حولي ما خدعت في شخصية أحمد ولا شخصية إيمان ولو لم أحب إيمان بهذا القدر لما تألمت بهذه الصورة ولولا وجود داعش لما قتل أبي. ولو عملت بما تفطنه عقلي ما سرق هاتفي.

أنا غاضب على كل شئ ولا أرى في العابد إلا النفاق، ولا في الزاهد إلا الرجعية والتخلف، ولا في رجال الدين إلا المكر والخداع.

ولا أرى في الأصدقاء إلا الغدر.

ولا أرى المتواضع إلا ممثلا..

ولا أرى المغرور إلا تافهًا..

ولا أرى الحب إلا كرهًا، ولكنه متنكر.

تقول الأديان أن الخطيئة هي سبب وجود آدم على الأرض، فلماذا جئت أنا؟

كل هذا دار في رأسي وأنا متجه نحو المنزل. دخلت ووجدت الناس لا زالوا يقدمون التعزية، لكني أكملت السير وكأنني لا أراهم. رأتني أمي فنادت علي فسرت وكأنني لا أسمع صوتها. صعدت إلى الطابق العلوي وقفلت باب الشقة ثم دخلت غرفتي وأغلقتُ بابها ثم أغلقت النوافذ وجلست في أقرب زاوية إلى وضممت قدميّ نحو صدري وكأنني جنين لايزال برحم أمه. وفجأة.. شعرت بأن صدري يطبق علي وكأنه منزل تنهار أرجاءه. ياويلي.. هذا ماكان ينقصني.. لا أستطيع التنفس. يكاد قلبي يتوقف عن النبض. الألم يزداد ولم أعد أستطيع الحراك أو حتى النطق ببنت شفة. منعني غضبي وحزني من الاستماع للموسيقى الحزينة التي أحبها، فالأمر أكبر من ذلك.. سألت نفسي: ما الحل؟ كيف آخذ حقي؟ قررت حينها أن أنضم إلى الجيش العراقي وكأني لا أحمل شهادة. مضت الأيام وأخبرت أمي بذلك فقالت لي لا تجعل وفاة أباك تؤثر علي تفكيرك أكمل دراستك ولو كنت عازما على الإلتحاق بالجيش أُحصل على الشهادة الثانوية وقدم في كلية الحربية بدلًا من أن تكون مجندًا وتكون بذلك قد حققت رغبتك. وأريد أن أخبرك بأمر آخر، لقد قلت كلمة لم أنسها لك، أتعترض على أفعال الخالق؟؟ وصلت بك الوقاحة ياحسين إلى الاعتراض على أفعال الإله؟ أنا لم أُربِّك على ذلك، كيف صرت متمردا لهذا الحد؟

قلت لها: سأكمل الدراسة أتريدين مني شيئًا آخر؟

قالت لي: سنحضر أحد الشيوخ ونقسم الميراث غدا.

قلت لها: سأفعل وقلت في نفسي من الجيد أنهم لا يعلمون أني ملحد فلو علموا لحرموني من الميراث، فالمرتد لا يرث.

ولما جاء الغد قُسِّم الميراث ووكلت أخي بإدارة نصيبي في الشركات والمشاريع.

مضت أيام قليلة وجاء موعد الامتحانات ولم يكن هناك غش مثل السنين السابقة وهذا لا يرجع إلى أن المدرسين لا يسمحون بالغش ولكن لأن كل واحد يريد الحصول على منزلة أعلى من صديقه، ولا أنكر أنه كان هناك غش ولكن بسيط، ولقد استطعت تجاوز الامتحانات ولكني لم أستطع الحصول على مجموع يُمكِّنني من الالتحاق بالكلية الحربية، ولامتني أمي كثيرا على مجموعي المتدني ولكني تعجبت كل العجب من لومها لي، فلقد كنت أتوقع أن تشكرني علي نجاحي.

قررت حينها أن أدخل الجيش العراقي بمؤهل متوسط، أمضيت سنتين في الجيش.. كنت أنتقم من الدواعش وأفرح عند دهسهم بالدبابات فأنا أنتقم لأبي منهم. كنت أعلم جيدا أنهم يفرحون كما أفرح عند قتلهم لأحدنا فهم يعدون ذلك تقربا من الله.

قررتُ أن أعلن معتقدي. قلت لأمي أنا ملحد. قالت والدموع تترقرق في عينيها:

من اليوم ليس لك إقامة في المنزل، فأنت أصبحت غريبًا عنا، فقرابة الدين أقرب من قرابة الدم. لقد قال تعالى لسيدنا نوح عندما كفر ابنه وحل الطوفان وهو يريد أن يأخذه معه في سفينة النجاة: (إنه ليس من أهلك إنه عملٌ غيرُ صالح). قلت لأخي سأبيع لك نصيبي من الشركات، قال اشتريت.

لقد خذلني الجميع.. خذلني أصدقائي وخذلتني أمي وخذلني إخوتي، فهم لم يلوموا أمي على قولها، حتى أبي الذي حزنت عليه طوال هذه المدة لم يكن يسأل عني. لكن لا بأس.. سأسافر إلى أحد البلاد المتقدمة. حجزت تذكرة في أول طائرة متوجهة إلى فرنسا، فأنا أحب فرنسا فهي بلد جميلة ورائعة المعمار ويمكنني أن أقضى وقتا رائعا هناك. كما يمكنني الإقامة والتزوج بفتاة فرنسية، فالفرنسيات هن الجميلات. نزلتُ في باريس وأقمت بفندق متوسط وبدأت أتعلم الفرنسية حتى أجدتها بسرعة، فهي لغة سهلة. بمرور الوقت تغير تفكيري و سألت نفسي سؤال: لماذا أتزوج وأنجب أولاد وأجعلهم يتألمون في هذا الوجود؟.. لا لن أتزوج.

وفي فرنسا كان البار هو محرابي الذي أعتكف فيه على شرب الخمر. كنتُ أسخر حينها من الحياة ولا أعلم هل أنا الذي كنت أسخر من الحياة أم الحياة هي التي كانت تسخر مني. لم يكن أول يوم دخلت فيه بارًا هو أول مرة أسكر فيها، فلقد أسكرتني الآلام قبلها، كانت تمضي الأيام تلو الأيام والشهور تلو الشهور والكأس لا يفارق يدي. لقد دعاني الجبروت حينها أن أقول أنني موجود قبل أن أصير مجرد جسدٍ يتحرك، فلقد كنت أسبح في الكون ولما رأيت الثقوب السوداء تبتلع من يقبلها هربت إلى هذا الكوكب. ولكن الحركة أصبحت صعبة بفعل الجاذبية، ولم يكن أمامي خيار حينها سوي الاندماج بشيء حجمه صغير حتى أستطيع التحكم فيه، وبالفعل اندمجت بحيوان منوي وساعدته على أن يصل إلى البويضة، فهو لا يعقل ولولاي ما وصل إليها. ولعل ذلك يكون سبب عدم وصول الكثير من الحيوانات المنوية الأخرى إلى نفس البويضة، وفي الرحم بدأ الحيوان المنوي ينمو بفضل الغذاء، وبدأ النمو يزداد بفضل الحبل السري، ولما وُلدت ظننت أنني وحدي من صنع هذه العملية، ولكني وجدت أن لي أخوة سبقوني بالوصول إلى نفس الرحم، بل إن المليارات من البشر اتَّبعوا هذه الطريقة في أرحام مختلفة حتى يُوجدوا. لن أخفي عنكم أنني عندما كنت أستفيق من السكر أبكي ويحن قلبي إلى

الدين والوطن والأهل، لقد جعلني الإلحاد أفقد أهلي وأترك بلدي.. إن العيش بدون إلٰه أمر صعب، فحلاوة الإيمان لا يذوقها إلا من خشع قلبه لله، ونعمة الإيمان بالله لا يعرف قيمتها إلا الملحدون، فهم يتعذبون ليل نهار، و صدق الله عندما قال: (*وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا*) والمؤمن بالله لا يدرك قيمة إيمانه بالله لأنه لم يحرم منه، فالمؤمن إذا أصابه ابتلاء عظيم صبر وعلم أن الله سيعوضه عن ذلك بجنة عرضها السماوات والأرض، أما الملحد فلو خسر شيء تافه مات قهرا، فهو يحب الدنيا حبا شديدًا باعتبار أنه لن يعيش مره ثانية، ولكن سرعان ما انتقدت فكرة وجودي قبل ميلادي وكان ذلك بسبب أمر بسيط جدا.. من أين جاء أول رحم إذا كانت جميع الكائنات أتت بنفس الطريقة؟؟ لا لقد أخطأت. فنحن مثل جهاز الكمبيوتر صنعنا أحد ما وهو الذي يصدر لنا الأوامر، فنحن مسيرون ويهيئ لنا أننا مخيرون كما هو مُهيأ لجهاز الكمبيوتر أنه مخير. فالكمبيوتر يحسب نفسه هو من يتحكم في كل ما يحدث داخله بينما الأوامر خارجية وهو لا يعلم، ومقابل نوم الإنسان نجد غلق الكمبيوتر فلاشك أن الكمبيوتر عندما يتم فصله ثم تشغيله يظن أنه كان نائما. إلا أن هذا الوصف غير دقيق، بل نحن كالألعاب الشبكية التي تغلق ثم تفتح على نفس الحال. نحن مثل هذه

الشخصيات التي تكون في الألعاب وهناك من يتحكم بنا وهو جالس على جهاز الكمبيوتر ويتحكم في جميع تصرفاتنا ويغلق الإيميل متى شاء أو يشفر الشخصية فتتصاعد مثل البخار، ولعل النوم يكون مطابقا في هذه اللعبة.

كل يوم يمضي يزداد حزني، لقد كنت أموت كل لحظة ولا أجد حلا سوى الانتحار. نعم سأنتحر.. أقسم بالمعاناة أننا خلقنا للشقاء لا للعبادة. لن أبحث عن الموت الرحيم بل سأبحث عن الانتحار المعذِب. أريد أن أعذب هذا الجسد الذي حوى هذا الوعي اللعين، سأترك هذه الدنيا لمن يحبونها.. سأمضي من الحياة تارك شهواتها وملذاتها.. افرحوا ورقصوا أو احزنوا، فمصيركم محتم. مصيركم هو الهلاك سأترك لكم الحياة فأنا كنت أبحث عن الروحانية لا عن الشهوة، سأصعد إلى أعلى طابق في المدينة وأسقط نفسي من فوقه سقوطا رأسيا لأكون مثل الزرع الذي نمى، سألقي نفسي من أعلى لأسحق هذا الدماغ الذي احتوى هذا الوعي، سأنتحر تاركا من خلفي السراب. لن يفتقدني أحد ولن يذكرني أحد ولن يحزن علي فراقي أحد. فأنا لا أستحق الحياة لأني لم أزد فيها على أن أكون جسدا زائدا على هذا الكوكب اللعين. إن الأحياء هم آفة هذا الكوكب، هم يلوثونه. إن الكوكب الآخرة أفضل من كوكبنا، فهي على الأقل تنعم بالسلام، فما الذي يجعلني أحيا على ظهر هذا الكوكب؟ سأنتحر..

وبالفعل صعدت فوق أعلى طابق لبناية في المدينة، ولكني لم أستطع الانتحار بفضل غريزة البقاء. فالموت يدعو للحياة والحياة تدعو للموت. لقد كنت أتعذب عذابا شديدا، لقد جرح قلبي ونزف دما كان كفيلا بسد احتياجات مرضى فقر الدم، ولم يكن هناك حل حينها إلا أن أخرج من هذا الوحل وأترك هذا الكأس وأن أقضي على هذا الحزن بالتنزه في شوارع باريس، فباريس جميلة حقا. كان لي جار اسمه سيمون، تعرفت عليه لكي نخرج سويا. ألم أقل لكم أننا البشر نقبل الشيء لو كان لنا ونرفضه لو كان لغيرنا؟ فأنا صادقت سيمون لأجل التنزه وكنت مرتاح الضمير بينما كنت حزين عندما صادقني أحمد من أجل مصلحة ولقد أعجبني قول يسوع عندما قال لماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها؟ أم كيف تقول لأخيك دعني أخرج القذى من عينك وها هي الخشبة في عينك، يا مرائي أخرج أولا الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيدا أن تخرج القذى من عين أخيك. لا تتعجبوا من أنني أحفظ بعض أسفار الإنجيل لأنني قد تنصرت لقد كان سيمون يحب المرح، وكنا نخرج سويا كل يوم ولكن جمال باريس لم ينسيني حنيني لأمي وإخوتي ولا لوطني العراق. ولقد اشتقت إلى التحدث باللغة العربية. كنت أفكر حينها بالرجوع إلى العراق ولكن خفت ألا يرحب بي الأهل الذين لم أعد أعرف عنهم شيء. الذين دفنوني في قلوبهم كما دفنت

أحبتي. ما أصعب أن يتحول الأحبة إلى أعداء وما أصعب أن يتحول القلب من بيت لهم إلى قبر لهم.

قررت الذهاب إلى أي دولة عربية ليس فيها نزاعات وفيه أماكن جميلة وطبيعة خلابة، فاخترتُ لبنان. وبالفعل ذهبت إلى لبنان وأقمت في بيروت ومن المعروف أن لبنان يسودها الدين المسيحي مما جعلني ألتفت إليه وأبدأ القراءة في الكتاب المقدس، ولكن هذا لم يكن كافيا فذهبت إلى الكنيسة على أساس أنني مسيحي، ولم تمضِ إلا عدة أيام حتى أصبحتُ مسيحيًا. فقد وجدت عنوان المسيحية المحبة.. صحيح أن فرنسا يسودها الدين المسيحي ولكني لم ألتفت حينها، فالخمر كانت تنسيني ما حولي، وفي الكنيسة شاهدت فتاة جذبني جمالها فتوجهت ناحيتها وسلمت عليها وسألتها عن اسمها، قالت "مريم" حينها تذكرت أمي. فهما متفقتان في الإسم ولكن شتان بين المريمين فأمي لا تقوم من على سجادة الصلاة أما مريم فالتقيت بها في الكنيسة، أمي ترتدي النقاب أما مريم فترتدي كل مايكشف العورة، كتمت حزني حينها وأكملت الحديث.

ولكني لم أستمر في اعتناقي للمسيحية لسبب بسيط وهو أني لن أستطيع استيعاب أن الأب والابن والروح القدس إلٰه واحد.

ولم أستمر في اقترابي من مريم فلن أكذب على نفسي، أنا لم أحبها وإنما أحببت جمالها، وأنا لازال معي الكثير من الأموال ويمكنني أن أسافر إلى بلاد عربية أخرى. سألت نفسي حينها أين أذهب فوجدت نفسي بلا تردد أقول مصر.. ذهبت إلى مصر و أقمت في الإسكندرية وفي مصر كانت الهداية، كان هناك مسجد بجوار الشقة التي أقيم فيها وكنت دائما ما أسمع خطبة الشيخ الرنانة وأنا في المسجد وكان يقول كلامًا غريبًا علي حينها. أخذني الفضول وذهبت إلى المسجد وصليت معهم رغم أنني لا ديني، ولما انتهينا من الصلاة سلمت على الشيخ وتحدثت معه فاستراح قلبي له، وعرفت أن أسمه صالح وأنه من أبناء الأزهر ولكننا لم نستكمل الحديث عندها والسبب أنني كنت أريد أن أحكي له عمّا مررت به وهذا سيستغرق وقتا طويلا، بينما هو كان عنده موعد بعد نصف ساعة لتحفيظ القرآن و قال لي لنستكمل حديثنا في الغد بعد صلاة الظهر. أتذكر أنني في ذلك اليوم لم أستطع النوم للوعتي للحديث معه. مضى الليل ببطء وحل محله النهار وأذن المؤذن لصلاة الظهر فذهبت. بعد انتهاء الصلاة سلمت على الشيخ وقال لي تعال معي. قلت له إلى أين؟ قال تعال معي لنتحدث في منزلي، بما أن الحديث سيطول. ذهبت معه فأحضر لي الطعام ولما انتهينا من تناول الطعام قال لي أعتذر لأنني لم أستطع البارحة أن أكمل حديثي معك، قلت في نفسي أتعتذر على شيء لا يستحق الاعتذار!! وليس لك فيه أي ذنب!!

ما أروعك!!..

فهناك أناس لا يعترفون بأخطائهم مهما أخطأوا، لقد أخطأت عندما لعنتُ جميع البشر، فهناك الكثير من الصالحين من أمثال الشيخ صالح.

قال لي الشيخ صالح: تفضل بطرح ما كنت تريد طرحه.

حكيت له عن أسباب إلحادي وما مررت به، فقال لي لقد أخطأت أمك عندما لم تجيبك على أسئلتك، ولكن لا بأس سأجيبك عن كل ما دار في رأسك. لنبدأ بأول شبهة خطرت على بالك وهي من خلق الله؟. يا بني لو سلمنا لمنطقك لقلنا من خلق من خلق الله؟ ومن خلق من خلق الذي خلق الله إلى مالا نهاية، فلا بد أن نؤمن بأن هناك شيء لا يخضع لقوانين الطبيعة لأنه هو من خلق الطبيعة، ونحن كمخلوقين لا نستطيع استيعاب وجود شيء بدون خالق، وسأضرب لك مثال بسيط: ماذا لولم تكن هناك حيوانات تبيض على كوكبنا؟ هل كنت تصدق أن هناك مخلوقات تبيض ولا تلد؟ قلت: لا.

قال لقد أجبت بنفسك، فمصيبةُ البشر أنهم يعتقدون أن كل شيء يخضع لمقاييسهم. أما عن اعتراضك على حكم الله، فأحب أن أعلمك أنه لولا الحزن ما عرفنا الفرح، ولولا الشر ما عرفنا الخير، ولولا الشقاء ما عرفنا الراحة، ولصارت الحياة كلها ملل وليس لها قيمة. إن حياة الإنسان تمتاز

بالمقاومة، ولو كانت الحياة كلها نعيم ما تكونت شخصيتك. أما عن طعنك في آية في القران، فيا بني إقرأ ما شئت من الكتب لتتأكد من أنه يعلو ولا يُعلى عليه. يا بني لقد قال تعالى (ولا تزر وازرة وزرة أخرى)

فالآية كلها رحمة، ولقدنزلت هذه الآية للنهي عن الثأر من أخ القاتل أو الثأر بمن هو من عشيرته.

وأنت يا بني قد اختلطت عليك الأمور حتى أنك قلت أن الإسلام أهان المرأة مع العلم بأن الإسلام قد كرمها، فقال الرسول الكريم رفقا بالقوارير. فقلت له مهلا يا شيخ.. لا شك وأن هذا الحديث غير صحيح. قال ولماذا تقول ذلك؟ قلت هناك آيه في القرآن تقول (إن كيدكن عظيم) فكيف نرفق بأصحاب المكيدة والكيد؟؟ قال الشيخ: يا بني ألم أقل لك أن الأمور قد اختلطت عليك؟ الأمور كلها منذ صغرك اختلطت عليك، فأنت تدعي الشقاء رغم امتلاكك سبل السعادة، أنت تمتلك سبل السعادة ومع ذلك أنت حزين لأنك لم تفعل ما يجعلك سعيدًا. لقد كنت تملك الأموال فأنت من أسرة غنية ولا شك في أنه كان يأتيك المدرسين خصيصا إلى المنزل، كان أمامك أن تصاحب من هو أصدق من أحمد ومن هو أفضل من جمال ومع ذلك فقد كنت تختار الحزن عندما كنت تستمع إلى الموسيقى الحزينة. لقد كنت تبحث عن موسيقى حزينة وبين يديك القرآن. إذن فقد كنت تبحث عن الحزن لتزداد

غما على غمك والدليل أنه لم اشتد بك الحزن لدرجة لا يمكنك تحملها لم تستمع إلى الموسيقى وقلت الأمر أكبر من ذلك، ولم يكفك ذلك فبعد كل ما فعلته ألحدت وافتريت على النبي أنه قال على جميع النساء العنوهن فإنهن ملعونات والنبي لم يقل ذلك على جميع النساء بل قال ذلك علي الكاسيات العاريات الذين يشعن الفاحشة. وأنا أعزرك، فتجربتك هي التي جعلتك تلعن النساء.

أخبرني يا بني هل لك أخت؟ قلت له وأنا اعلم أنه يعرف أن لي أختًا: نعم

قال وهل ترضى أن يقول أحد على أختك أنها ملعونة؟

احمَّر وجهي حينها وقلت: لا. أنا أختي محترمة. فابتسم الشيخ وقال: إذن لا تعمم يا بني، لقد أمرنا النبي نحن معشر الرجال أن نرفق بالنساء، فقال رفقا بالقوارير، وقال أيضا ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم.

انشرح صدري بعد سماع كلام الشيخ واستأذنته وذهبت إلى الشقة التي أقيم فيها فنطقت الشهادة واغتسلت. لقد كنت أشعر حينها بشعور لا يمكن وصفه، لقد كنت أشعر وكأن النور يخرج من وجهي. وكأن وجهي تغمره السعادة..يا الله يا الله.. إن القرب منك سعادة كيف يحزن عبد له رب؟!
أصبحت دائما ما أذهب إلى المسجد وأتحدث مع الشيوخ فاقترح عليّ الشيخ أن

أقيم مشروعا بما بقي معي من مال، وكان رأيه الصواب بعينه، وبالفعل استأجرتُ محلًا وهيَّئتُه لأن يكون مطعمًا حتى نفد ما معي من مال، ولكن سرعان ما جرت الأموال في يدي مرة أخرى، فالمطعم قد نجح نجاحا مبهرا وقررت أن أستقرّ في مصر وأتزوج منها. كانت للشيخ ابنة تُدعى أمل، طلبت منه أن يزوجها لي فوافق شريطة مد فترة الخطوبة حتى تتعرف أمل على شخصيتي جيدا فتقبل أو ترفض، وافقت على الشرط الذي اشترطه الشيخ، وفي أثناء فترة الخطوبة ازداد ربح المطعم فكلما مضى يوم زادت شهرة المطعم. أُعجبت أمل بكفاحي فوافقت على الزواج مني، لقد أعادت لي أمل الأمل.. ذلك الأمل الذي يأتي بعد أن تعاني من الألم.. الذي يأتي بعد كل ألم. لقد كانت أمل ابتسامتي وقت حزن.

أنجبت لي أمل ابني طه الذي سميته باسمه ليكون طه حسين على اسم عميد الأدب العربي، وأنجبت لي مودة سميتها مودة لتكون رمزا للنقاء والمحبة، وأنجبت لي باسم الذي دخل الجيش.

لقد جمعتكم يا أولادي لأعترف لكم بأخطائي

فلقد أعدت تكرار الدائرة من جديد فها أنت يا طه تدير المطعم.

وأنتِ يا مودة صورة طبق الأصل من أمك أمل التي هي طبق الأصل من أسرتها

وأنت يا باسم لا زلت تشتكي من أوامر طه.

لقد جمعتكم يا أولادي وحكيت لكم ما مررت به لتعتبروا وتبتعدوا عن الأخطاء التي وقعت فيها. لقد كان الخطأ منا لا من الأديان.. أنا الذي اعترضت بكل وقاحة على حكم الله وقلت حينها أن كل شيء له أسباب، وهذا صحيح ولكني لم أدرك حينها أن الله يجزي الصابرين على صبرهم وأن الظروف الصعبة تخلق العظماء.

وتعصب أمي هو سبب طردي من المنزل لا الإلحاد، فابن سيدنا نوح كان كافرا ولم يطرده أبوه من المنزل، وامرأة لوط كانت تقيم في منزله رغم أنها كانت مشركة.. و أنا الذي سارعت إلى الشهوات لمَّا كنتُ ملحدًا وكان بإمكاني الابتعاد عنها، فالعقل يميز، ومعرفة الصواب والخطأ فطرة.

أنا الذي أعدت ألأخطاء التي ارتكبها والدي في حقي فيكم..

وأنا الذي جعلتك يا طه تسلك طريقي وأنا الذي جعلتك يا باسم تحقق حلمي. لقد جمعتكم يا أولادي لأصلح أخطاءي وأقول لكم اسلكوا ما شئتم من الطرق بشرط أن تكونوا خيّرين. عبِّروا عن ذواتكم واختاروا أحلامكم.

يا أولادي كونوا أنتم لا غيركم، وعندما أموت لا تجعلوا أي شخص يحملني سوى من تنطبق عليه هذه الصفات.

فليحملني كل من سلم قلبه من الغش والحقد.

ليحملني أنقياء القلوب.. وليحملني من قال عليه الناس أن طيبته الزائدة ستجعل الناس تطمع فيه وتستغله، ثم اتركوني أواجه مصيري وانسوني كما تركتموني. لم يكن لي حظ في الدنيا، لم أكن سعيدا فيها، فهل سأكون سعيدا في الآخرة؟؟ فأنا لا أمتلك سوى قلبٍ يحب الله!!

كانت تلك الكلمات آخر ما تفوه بها أبي قبل وفاته، ولقد كان يوم وفاته يومًا مؤلما. كنتُ أشعر بتثاقل في جسدي ووجع شديد في رأسي ولا أعرف هل العقل من ثار على الجسد أم الجسد من ثار على العقل أم كلاهما حانق على الآخر؟.

مسكين يا أبي.. لقد أفنيت عمرك بحثا عن الحقيقة وعن المعرفة. لقد أخطأ جدي وجدتي عندما اهتما بعمي محمد فصار مدير أعمال ولم يهتموا بك فأصبحت حاصل على مؤهل متوسط. لقد أخطأ جدي وجدتي عندما فرَّقا بينكما، فبرغم أن شخصيتيكما مختلفتان إلا أن حقوقكما واحدة.

واشتد الألم بي عند تشييع الجنازة، كنت أسير وأنا واضعٌ يدي في منتصف ظهر الخشبة التي حُمل عليها أبي، كنت أقول في سري أرجوك لا تتركني، أنا أيضا لن أتركك.. يأ أبي أرجوك لا تتركنا.. فجميعنا نحبك.

وكنت أحس بنبضٍ زائد في رقبتي، هذا عن حالي، وأما طه فكان يسير وحيدا في الجنازة وكأنه لا يشعر بأحد، وكأن الجنازة قد خلت من الناس وأخذ يبكي حتى تورمت عيناه. اشتد الألم وزاد أكثر فأكثر عندما حان وقت الدفن.

كان لساني يتلوا بسرعة البرق آيات القران، أما أخي طه فأخذ يصيح ويقول وحدكم يا أهل القبور من تعلمون الحقيقة. ثم أُغميَ عليه فأخذه بعض الأفاضل و أفاقوه من إغماءته، وبعد أن غادر الرجال المكان جاءت أختي مودة وأمي وأخذتا تدعوان له، ولقد اعتبرنا كلمات أبي هي وصيته فترك أخي طه المطعم للعمال، وأصبح يذهب مرة واحدة في آخر الشهر لإعطاء الأجرة للعمال والتفت إلى كليته التي تخرج منها مهندس، أما أنا فلم أدفع مصاريف الكلية الحربية لأقيد رسميا في الصف الأول وأكملت دراستي كمدني والتحقت بكلية اللغة العربية لحبي لها وها أنا الآن أصبحت من أفضل كتبة مصر، ولا تخلوا مكتبة من كتبي ومؤلفاتي، خاصةً بعد ما حدث لي.

وعندما أتزوج سأعلم أبنائي بما علمنيه أبي، وهذا وعد أخذته على نفسي.

أنا أكتب الان في مفكرتي وسأطبقه على أرض الواقع.

سأقول لهم:

☺يا أولادي كونوا أنتم لا غيركم☺

وأعلمهم بأن أبي رجل مكافح بمعنى الكلمة، استطاع أن يصل بنا إلى بر الأمان وإلى أعلى المراتب رغم ما مر به من ظروف نفسية واجتماعية. لقد تجاوز أبي كل ما مر به من أجلنا، حتى لا يدعنا نذق مما تجرعه هو فى حياته.

أبى ذاك الوسيم، طويل القامة ذا الصوت الخشن والقلب الأبيض والشعر الأسود، كان يتمنى الخير والسعادة للجميع..

مرح يحب الضحك ويهوى الفكاهة

وهو معتز بأولاده وبزوجته الجميلة التي أعجبه فيها خلقها وتدينها.

***

جرت الايام كعادتها وتزوجتُ من وفاء، ولقد كانت وفاء مثالًا للمرأة الصالحة والزوجة الوفية و الأم المعلمة. تلك الجميلة صاحبة الوجه الحسن البشوش والعينين الزرقاوين المتسعتين، والبشرة البيضاء والأنف الدقيقة والشفاه المنتفخة الفاتنة والجسد الممشوق والقلب الأبيض الذي فاز بي وفزتُ به.

منذ أن كنت في السادسة عشر من عمري وأنا أحبها، لكني لم أتمكن من مصارحتها لأنه لا شك في أنها كانت سترفض مصادقة شاب، فأخلاقها لا تسمح بذلك، فمن المعروف في القرى أن من تصادق شابًا فإنها تكون فتاة غير محترمة، ووفاء من المستحيل أن تجلب الإساءة لها أو لأهلها.

لذلك ظللت أحبها في صمت حتى سمحت ظروفي فتقدمت لطلب يدها من أبيها وبالفعل وافقت وفاء على الزواج مني فأنجبت له قرت عيني وفخري

****

مصطفى:

ذلك الصبي اللامع الذكاء، والذي تمكن من الحصول على مراكز متقدمة في المدرسة والذي جرت به الأيام بسرعة خاطفة حتى صار طبيبا.

ولعل سر تفوقه الدراسي هو شعوره بالمسئولية تجاه أبيه، فهو يعلم أن أباه يذوق الأمرين من أجل تعليمه هو وأخوته، لذلك كان يعمل بالسروح بالدواجن لكي يجلب الأموال فكان يتغيب من المدرسة أحيانا ليجلب الأموال ويصرف على نفسه، ولم يؤثر ذلك على مستواه الدراسي، فهو يجيد تقسيم الوقت. كان يقسم يومه إلى ساعات عمل، والعمل له مسؤوليات، مع العلم أنه لم يكن يمر يوم دون القيام بكل واجباته في الدراسة وفي العمل. ولقد كان مصطفي يشبهني إلى حد كبير فكان طويل القامة ويميل وجهه إلى الخمري، صاحب هيبة، قوي الذاكرة وسريع الفهم. فكان بمجرد قراءته لشيء يثبت في ذاكرته، لذلك لم يؤثر عليه عمله بالسروح وصار طبيبا مشهورا

****

خالد:

لقد خلد التاريخ اسم خالد لتأثيره البالغ على العالم، كما أنه يعد من أشهر الكتبة فهو صاحب قلم يقف له كبار الكتاب احتراما.

تخرج خالد من كلية (السياسة والاقتصاد) ولكنه لم يعمل بها، فما أكثر البطالة في مصر، إلا أنه رشح نفسه لمجلس الشعب ونجح، فنال جزءًا من اسم كليته وهو العمل بالسياسة، وهو شخص خلوق جدا إلا أنه معقد، فهو يكره جميع الفتيات ككره المؤمن للشياطين، وهذا يرجع إلى التجربة القاسية التي خاضها مع لمياء صاحبة الأنف الحادة من العناد، والطويلة من الكذب والجسم النحيف من التفكير في خداع الآخرين، والشفاه الصغيرة التي تشبه خاتم سليمان، والقدم الذي يشبه عصا موسى، ولكن برغم أن قدمها تشبه عصا موسى، إلا أن مؤخرتها تشبه فيل أبرهة. إن لمياء شخصية غريبة بكل المقاييس بالنسبة لشاب خلوق مثل خالد، ولكنها طبيعية جدا بالنسبة للأذكياء الذين يكتشفون مكر الفتيات. لقد كانت لمياء تنطق لخالد بأجمل ألفاظ الحب كما كانت تنطقها لغيره، ولقد حُرق قلبه لمَّا شعر بزيف كلماتها. فهو دائما ما كان يلمح كذبها في بعض كلامها الغير منطقي، والذي يدعو إلى

الشك، حتى تيقن من كذبها وأراد أن يثبت لها أنه تكذب عليه كما تكذب على غيره.

حدثت تلك القصة عندما كان في الثانوية العامة. ذهب إليها فطلب منها هاتفها فلمحت على وجهه علامات الغضب التي لم يستطع إخفائها فأبت لأنها تفهمت المقصد، فسحبه منها بعنف فصرخت حتى اجتمع الأساتذة وزملائه الشباب والفتيات واتهمته بالجنون. انطلت الكذبة على الجميع فصدقوها وأصبح الكل يتهمه بالجنون، فزاد ألم قلبه ولم يُعزِّه أحد فأصبح في عزلة عن الجميع. وكان يتمنى أن تنشق الأرض فتبتلعه لكي يهرب من واقعه فلا حبيب يرحم ولا صديق يشفق، لكنه أستطاع أن يهزم الجميع وشاء الله أن تتحول البلية إلى هدية فجعله ألمه أفضل كاتب وإنها لمهمة شاقة أن تكون كاتبا.

هذا يعني أنك تثقف المثقف.

***

سعيد:

لقد ورث سعيد بياض الوجه والعيون الزرقاء والتدين من أمه وفاء، وكان متميزا عن إخوته، حيث التحقوا بالتعليم العام أما هو فقد التحق بالأزهر الشريف، تلك المؤسسة العريقة التي نهل من فيضها العلم الشرعي والعلم الدنيوي حتى التحق بكلية أصول الدين، وهناك كان يتلقي العلم الشرعي فقط حتى تخرج منها إماما وخطيبا.

وكان يعمل بجانب الخطابة في مشروع تركيب الفلاتر ففي بلادنا وظيفة واحدة لا تكفي للعيش.

وهكذا قد أخبرتكم بكل شيء عن حياتي الماضية.. والآتِ في علم الله.

***

تم بحمد الله

حقوق النشر والتوزيع محفوظة

ببلومانيا للنشر والتوزيع